رواية

سلطان حصير

منى بارويس

سلطان حمير

منى بارويس

تدقيق لغوي: نادية محمود
تصميم الغلاف: فارس إيهاب
برعاية زمرة الأدب الملكية
تنسيق داخلي: فاطمة الزهراء

رقم الإيداع: 17725/ 2019

الترقيم الدولي: 978/977_835_142_2

زحمة كتاب / اسكرايب للنشر والتوزيع

الهاتف: 01099727510

Email :

Scribe20199@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

عائلتي الروحية..

أمي.. إخوتي..

من بعد الله ثُمّ بفضلكم أنا أصعد أولى درجات السّلم الأول لطموحي..

بدعمكم المادي.. والنّفسي..

أتوج روايتي الأولى؛ (سُلطان حِميَر).

أستاذي ومعلمي

- رئبال الدمشقي (خالد أمين)

خارطة طريق قَومَ اعوجاج قلمي وسددني.

صديقاتي؛

- لبابة بارويس صديقة الطفولة، شُحنة في الاستمرارية.

- شمس السقاف صديقة الدراسة، ومُنسقة جمالية لروايتي.

- زمرة الأدب الملكية، أكون للإبداع العربي، ملتقى الكلمات،

صروح أدبية لمعت في العربية.. أشكركم.

إلى كل عربي حر، عسكريا كنت أو مدنيا..

أهديكم قدوة جافت الأضواء، ونظرت إلى ما عند الله.

.....

بقلم الكاتبة/ منى ناصر عبد الله بارويس

خريجة جامعة القرآن والعلوم الإسلامية

اليمن_عدن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

تبلى الأجساد أبدا ما حيينا..

ويدوم الاسم بذكر ما كان من عمل..

الحمد لله الحي الأحد الذي لا يموت..

رافع الذكر لمن رضي عن عباده في الملكوت..

وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى حين قال؛

(إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمِ انْتزاعًا يَنْتَزِعُهُ من الْعِبَاد، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاء حَتَّى إِذا لم يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا فَيُسْأَلُوا، فأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا).

"أخرجه البخاري"

فما أشبه العلماء العارفين، بالقادة الواعين، الذين درؤا عن أمتهم فتنا، وجمعوا تحت راية أوطانهم أمما، نبذوا الفرقة، وأعلوا الهمة، وما غرتهم الدنيا بزخرفها.

سلطان حمير

﴿الجنرال ناصر عبد الله بارويس﴾

رجل ذاع صـيته في ربوع وطننا العربي؛ قد سـبق عمله اسـمه، وطالت ذراع الخير منه مابعد حدود وطنه، لم يكن معياره قطرا أو مصرـا، بقدر ماكان يحمل على عاتقه وكاهله هموم أمة.

لانذكره اليوم لاسمه ومكانته، وإنما..

(على قدر العطاء والتضحية، يدوم الذكر ويرفع بالمناقب).

لم تمتد يدي ليده يوما مصافحا ولا عارفا وكم تمنيت، ولكن وصلتني يده كما نصحه؛ فعرف ابن الأصل الأصيل.

وها نحن اليوم أمام ثمرة نضـجت من ريعان جنانه، فكانت ابنة أبيها فعلا وقولا وخلقا ودينا..

فها هي اليوم تتألق في عالم الإبداع والأدب، لتكون على العهد والمنهج الواضـح، في نشرـ كلمة الحق، وتبيان الباطل، والرفعة والنهوض بأصـالة اللغة؛ فابتدأت بخط سـيرة أبيها برا به، لعله بإذنه تعالى أن تكون كلماتها في ميزان حسناتهما.

نحن ومن أكاديمية زمرة الأدب الملكية، نشيد بالأستاذة؛

"منى ناصر بارويس"

فيما توصلت إليه خلال جهودها في مجال الأدب العربي،

ونتمنى لها دوام التوفيق والنجاح.

الأستاذ المشرف؛

خالد أمين

{رئبال الدمشقي}

الجزء الأول

سُلْطَان حِمْيَر

...

الحيرة وقفةٌ للتأمّل، وبداية انطلاقة جديدة صـــوب الهدف، كن مثابراً، وصبوراً، وحثيث الخُطا؛ كي تستطيع أن تتناغمَ مع سيمفونية حياتك.

الجُنْدِيّة شيءٌ عَظِيم، والعَقِيدة ذَرْوَتُها.

التوقيع:

سُلطان حِمْيَر

بدأتُ أقلّبُ صفحات الذّاكرة بينَ ماضٍ مُنهِك، وحاضرٍ مُكْفهِر، ومُستقبلٍ أستشرِفُ تَحَسُّنَه. أصبحنا نعيشُ في صحراءٍ قاحلة، لم يعُدْ للحميرِ نهيقٌ، ولا للكلابِ نُباح، يبدو أنّها تُمسك بزمامِ الفسادِ جيداً، والجميع تحت رحمةِ التبعيّة ينامون. مبادؤك! نعم تلكَ التي تقاتِل لأجلها، وتبني تمثالاً على أُسُـــسِـــها، إن لم تتبدّل وتنصـاع للتغيير؛ فأنت لا زلت رضـيعاً لم تلقّنك الحياة درسـاً، حبيسـاً لمُسمّياتٍ وأفكارٍ قد عفا عليها الزّمن، لا تبالغ الثقة بمتانةِ خيوطك، ومن حولك رديءَ مُتَاهلك قابل للطرق والسحب، الإيمانُ الحقيقي هو أن تقنع مُحيطك إلى حَدِّ الرّضى؛ فأمّا التشبّث، والتعصّب، وعدم اللين، أصبح العالم يتنافس في صُنعه؛ وها نحنُ شـــهودٌ على تســاقطِ بعض الأمم؛ لســتُ حالماً، ولكنّي أدركتُ بأنّ

الصـعودَ باتجاهِ القمّة، يقابلهُ صـعودٌ نحو الهاوية، ما لم تكن ثابت العقيدة بما تسعى إليه نابعاً من الداخل؛ فإنّك ترسمُ نهاية وجودك بكلتي يديك.

قبل أكثر من أربعمائة عامٍ كانت هُناكَ قبيلةٌ عربية بدويّة، تسـكن في جنوبِ شبهِ جزيرةِ العرب، قبيلةٌ عريقة ذات سيادة، وإليها يرجعُ الأمرَ كُلُّه بين أقرانها من القبائل، تميلُ للحضـارة والعلم كونها كانت دولةً حاكمة في يومٍ من الأيام. (المملكةُ الحمْيَرية) هي آخر مملكة يمنيّة قبل الإسـلام، ومنها جاءت قبيلة (حمْيَر)، سُمِّيَت بهذا الاسم نسبةً لموطنها الأصلي، تقع هذهِ القبيلة على تَلّةٍ شبهِ مُرتفعة، يُحيطُ بها واديان واسعان عن اليمينِ والشمَال، ويوجد بها بئرٌ عميقة خاصـة بمواشي القبيلة، مُحصّـنة بالأحجار والجذوع كتمويهٍ؛ حتى لا يصـلها اللصـوص، والمُجرمين، حرصـا على ممتلكاتها، كما أنها تقع على خط التجارة البينية بينَ القبائل، سوق (الخليف) وهو من أحد أقوى اقتصادها الذي يصل إلى (مكة المكرمة).

اشـتهرت قبيلة حمير بمميزاتٍ عَديدة، من أهمّها الكُتلة البشـرية والمادّية، والقُدرة العسـكرية (التسـليح)؛ ممّا جعل لها المكانة الرفيعة والهيبة عن غيرها من القبائل. وكما تعتبر الزّراعةُ أيضـا فيها، شريانا حيويا وموردا، لخصوبة الأرض وكأنها جنة غناء ضاحكة.

كل هذا جعل ومكن من أفرادها وسـكانها أن يعيشـوا العيش الرغد برفاهيةٍ و وفرة.

ذاع صيطها بين القبائل المجاورة، متسمة بالكرمِ والبذل والعطاء، فكانت تستضيفُ كل من يمر بأراضيها، ضيفا كان أم مقيما، كما عملت على إنشاء المسا جد، فبنت مسجِداً كبيرا، يأتونهُ الناس من جميع القُرى المُجاورة، وافتتحت مدارس لتعليم القرآن الكريم، واهتمّت بعلومهِ المُختلفة آنذاك.

كانت القبيلة مُحاطة بسورٍ عظيم، له بوابة ضخمة مبنية من خشب السدر ضد التآكل وعوامل الطقوس المختلفة، ولتكون منيعة مهابة.

ما أجمل الأقدار حين تُلبِسُكَ رِداء السّيادة دونَ سعي أو قتال!، السيد "عبدالله الحمْيري" هو الرّجُل الثاني بعد أخيهِ الأكبر غير الشقيق؛ الذي كان يرأس القبيلةَ بكل ما فيها؛ عيّنهُ أخوه كنائبٍ له من بينِ وجهاء القبيلة. ليس للقرابة أو النّسب شفاعة؛ بل لتلك الصفات التي تُؤهلهُ لأن يُمسك بزمام حكم القبيلة أثناء غياب أخيهِ الحاكم.

كانَ السيد عبدالله متوسط الطولِ بهيّ الطَّلعة، رجُل علم نافذ، ولا سيما في العلومِ شرعيّة، والفقهية، ومن تاريخٍ، وحسابٍ (رياضيات)، كما أنّه شاعر فصيح، وأديبٌ بليغ.

يعمل في التجارة لحبّه السّفر والترّحال، كما عرف عنه أنه كان كريماً ومضيافاً وشجاعاً حكيماً، يتم اللجوء إليه في حلّ النّزاعات؛ كانَ جريئاً في قولِ كلمةِ الحق، حتى أنّهُ يُحاجج سُلطان المنطقة الذي تخضع لحُكمه جميع القبائل، حين يظهر منهُ الجور والظُّلم.

وفي ذات مرّةٍ خرجَ في نُزهةِ للصيد، فصادف أنِ التقى بالسلطان ومعه حراسته الشخصيةَ وحاشيته، يتجول بين القبائل، فسلم عليه السيد عبدالله مرحبا، إلا أن السلطا ن ظل يحدج في السيد عبدالله متأملا وحاقدا؛ رآهُ يرتدي ملابس باذخة، ويقلب مابه من رغد ونعيم الحال، فوقع الحسد والغل في قلبهِ، وكأنه رآه منافسا له على سلطانه.

ترجّل السلطان من على فرسهِ، واقترب منهُ متثاقل الخُطى مع نظراتِ مدروسة وأردف قائلاً:

_'أراكَ مُتكئاً على عصاك وكأنّك 'موسى' ثم ضحك بسخرية.

تبّسم عبدالله وبصوتِ جهوري رد قائلا:

_'إن كنتُ أنا موسى فأنتَ فرعون، وأما عصاي هذه فأهشُّ بها على غنمي، وليَ فيها مآرِبُ أخرى.

أنهى عبدالله كلامه مع ثباتِ وثقة لتصل رسالته بقوة، فقد فهم بفراسته ما وقع في قلبه عليه.

قطّب السلطان ما بين حاجبيه، ليعود من حيث أتى وهو يتوعد في سِرّهِ بأن يحول سكون قبيلة (حِمْيَر) إلى نارٍ مُستعرة.

الجزء الثاني

. اليمن/ ولادةُ سُلطان حِمْيَر

«١_٢_١٩٥٦م» ، «٢٣_٧_١٣٧٤هـ»

.....

تمُر الأيام مُتلاحقة والقبيلة يزداد تلاحم أفرادها بين الأهل والإخوان والأعمامِ والأخوال، وبينما كان وجهاء القبيلة في جلسةِ سمرٍ مميزة، أقبلت عليهم البشارة بأنّ السيد "عبدالله" قد رزقهُ الله بغُلامٍ من زوجتهِ الثانية، تهلل وجهه وتعالت التباريك؛ فللمولود الذكر بصمة مختلفة في عُرفِ القبيلة. دقائقٌ قليلة ويُقبِل الغلام على أبيهِ في لفافةٍ تستره؛ فاحتضن صغيرهُ بين ذراعيهِ لتلمع عيناه سعادة واستبشارا، ثم نظر إلى أبنائه الشباب من زوجتهِ الأولى فرحا ومهنئا؛ ثم قرّب شفتيه من أُذنه اليمنى الصغيرة، مُتأسِّياً بالسنة المحمدية وتلى الأذان على مسامعه؛ كانت لحظات تقْشعر لها الأبدان، والجميع يتأمل ابن سيد القبيلة 'ناصر'

نعم .. سيكون اسمه "ناصر ابنُ عبدالله الحِمْيري"؛ هكذا رددها بصوتٍ مسموع، لتشهد تلك الليلة على ذريةِ السيد عبدالله وهم أربعة ذكورٍ وخمس إناث.

هاهو 'ناصر' يكبر بين والديه حتى بلغ الخامسة من عُمرهِ؛ فذات يومٍ كان السيد عبدالله يشرب قهوته اليمانية في فناء المنزل، و بالقربِ منهُ صغيره 'ناصر' يقرأ القرآن له تارة، وتارةً يسرح مع الأطفال الذين يلعبون بين بيوتِ

القبيلة، فمنهم من يرمي السهام، ومنهم من يصارع صديقه، كأي طفلٍ في عمرِه، يشده اللهو واللعب.

وضع "عبدالله" قهوته جانباً وهمسَ قائلاً مُحاولاً أن يشد انتباهه:

_'ناصر! شارفنا على المساء، وغدا سيتم التسميع لك، هل أتقنت حفظك؟

لن تنام حتى تحفظ سورة عمّ جيداً، أفهمت؟!'

'ناصر' الصغير في عالمٍ آخر تماماً، فما هو عليه مع الأطفال من مرح، جعله لاينتبه لكلام أبيه. أخذ "عبدالله" ما تبقى من القهوة وعلى بُعد مسافةٍ قريبة رشقها على وجه 'ناصر' ثمّ نهض؛ فاغرورقت عينا طفله بالدّموع، وهو يحاول أن يمسح بقايا القهوة من وجههِ بأناملهِ الصغيرة، وأصبح يُقاوم دموعه الحارقة؛ حتى لا يلاحظه الأطفال، كانت شهقاته المتواصلة تحتضر في صدرِه، وهو يرى والدهُ متجهاً صوب المنزل ويقول؛

"بعض القساوة تأتي على هيئةِ دروس".

(٢)

في مطلعِ ستيناتِ القرن الماضي، كان الشطر الجنوبي 'لليمن'، لا زال تحت حكم الاستعمار البريطاني، وكانت 'بريطانيا العظمى' آنذاك، تُنصب حُكّاماً على كل منطقة يعملون لصالحها، حيث أن هذهِ المناطق كانت عبارة

عن عدة 'سلاطين'، وكل بقعة لها سُلطان يحكمها، والسلطان هو لقب يُطلق على هرم منظومةِ الحُكم.

ولأنّ السيد 'عبد الله' رجُلاً يُقارع الظلم والفساد، كانت له رُؤاه السياسية، حتى أنه أصبح يُنافس السلطة الحاكمة لمكانتهِ المعروفة، قبلياً وعِلمياً.

لذلك زرع حاكم المنطقة أتباعاً يأتون بأخبارِ 'قبيلة حمير'، بعد أن تبين له أن السيد 'عبد الله' ظل متمسكاً بأرضه التي قد طلب منه ضمها للسلطنة، ولم يخضع لأوامره.

فكان هذهِ المرةَ في قصرِ سلطان المنطقة، وهو جالسٌ على عرشهِ ينسجُ فتنةً علّها تُطفئ لهيب قلبه، وبين مستشاريه صرخ 'الحاكم' بأعلى صوته:

_هل سلّم 'عبدالله' تلك الأرض للسلطة الحاكمة؟

_ السيد 'عبدالله' رفض أمرك قطعا، وقال بأن الأرض أرضه وإن أردتم أخذها، فأعطونا البديل.

_ ليس هناك أي بديل، ولكن هذا المتبجح لن يُفلت من قبضةِ يدي.

ثُمّ فرك ذقنه وبابتسامةِ مائلة قال:

_أوليست هناك خلافات قديمة بين الأخوة على ذات الأرض؟!.

_ نعم سيدي هُم كذلك..

_ إذاً سيكون لنا تدابير..

يعودُ 'ناصر' من المدرســة يُقَبّل والدته التي يطير فؤادها حبا كلما رأته، وبحنانٍ تضُـم صـغيرها الذي أصـبح في العاشرةِ من عمرهِ، فهو مُتعلّق جدا بها، فتطعمه وتداريه ثم توجهه لأبيه ليكون بين يديه خادما ومتعلما.

غدا سيصا دف رحلته خارج القرية، فاستأذن 'ناصر' بالدخول، وقبّل رأس أبيه ويدهِ ثمّ جلسَ قُبالته ومعه كتاباً مدرســياً، اعتدل الســيد 'عبدالله' في جلستهِ وراح يتأمّل في تفاصيل صغيره الذي لا يحظَى غالبا برؤيتهِ جيداً، ففي السنة الواحدة تجمعهما عدة أسابيع فقط.

'ناصر' مُختلف تماماً عن إخوتهِ فقد ورث من أمّه اتساع العينين ولونهما البّني الدّاكن، أمّا رموشـه الأثيثة كأنّها خيراتُ أرضـه؛ امتزجت بشرـته بالسَّـمرةِ المُشرّبة بالحُمرة، أنفٌ أشرع يحكي شموخ قبيلته، وشفاهٌ متوسطة ترسم أسناناً مصطفّة بانتظام حين يبتسم، أمّا المآثر والحذاقة فقد نهلها من أبيهِ،

_ 'ناصر'

_ نعم 'أبي!'

_ ما هذا الذي تحمله بين يديك؟

_ كتاب الجغرافيا للصف الخامس؛ 'أبي' كيف للأرض أن تدور؟

_اذهب وأحضر بيضة من المطبخِ حالاً.

ذهب 'ناصر' وأتى بتلك البيضـــة، فكما هو معروف لم تكن قديما توجد وســائل تعليمية توضــح ما يتم دراســته، أخرج 'عبد الله' قلماً كان معه، وبدأ يرسم خطوطاً مُتعرّجة تُشبه تلك الخرائط؛ وأخذ يلوّن أجزاءَ منها وترك بعضها؛ ثم قال:

_'انظر جيداً البيضـــة هي كوكب الأرض، والأماكن المُعتمة هي التي يكون فيها الليل، وعكسـها يكون النهار، الأجزاء الصـغيرة هي اليابسـة، والكبيرة هي المياه، ومن هنا يتعاقب الليل والنهار، نتيجة أن الأرض تدور حول نفســها، وحول الشمس و..'

لم يُتم حديثه حتى قاطعهما صُراخ أحدهم؛

_ 'سيدي! هناك أمرٌ طارئ، والسيد الكبير ومن معه محاصرون في الأرض هناك'.

أخذ 'عبدالله' بندقيته، وركض لنجدة أخيهِ ولحقه ابنهُ 'ناصر' دون أن يشـعر به، حالةٌ من الرّعب والقلق سـيطرت على أهالي القبيلة، فالفصـيل الذي كان في ســوء فهم معهم فيما مضى ـ هناك من أعاد اشــعال الفتنة بين الأخوة، وصـل 'عبدالله' إلى مكانِ الحادثة، فوجدهم قد أشـهروا أسـلحتهم باتجاه أخيه ومن معه، تقدّمهم بثباتٍ مُجتهداً لَمَّ الموقف بحكمتهِ، ألقى بندقيته كحســنِ نية، واستطردَ يُخاطب فيهم الأخوة:

_'تعالوا إلى كلمةٍ ســـواء تجمع بيننا، نحن إخوة قبل أن تكون هذه الأرض ســـببا في عِراكنا، هلمّوا جميعاً، ســـنتفق ونقتســـمُ خيراتها ونعيش معاً مُتآخين..

لكن هناك من جيش القلوب بالأحقاد؛ فنزغ الشـــيطان بينهم كما نزغ ما بين يوســـف وإخوته، وإذ برصـــاص طائش ينهمر عليه، فوقع 'عبدالله' على ركبتيه، ولكنّهُ ما زال وطيداً يأبى السـقوط، فبدأ التراشـق بالرصـاص بين الأخوة والأهل، فأصبحت البيوت تضج بصراخِ النساء والأطفال.

كان 'ناصر' في متاهةِ تتقاذف بهِ الأقدار هنا وهناك، أحس 'عبدالله' بوجوده بالقرب منه، احتضـنه ليحميه من طلقات الرصـاص العشـوائية، كانت أنفاســـه الحارة هي التي عطّرت ملابس 'ناصر'؛ غريقاً في دماء أبيه؛ لم ينطق شـــيئاً من هولِ الصـــدمة، أمســـك 'ناصر' وجه أبيه براحةِ كفيه علّه يفيق من نومته؛ نعم! إن 'أبي' نائمٌ لم يمُت بعد 'هكذا يحدّثُ نفْسه'، فإذا بظلٍ من خلفه وأيادٍ تمتدُّ لأخذهِ، كانت تلك أيادي جنود 'الحاكم' فبعد أن اطمأنوا أن رأس الهرم قد أصـــيب أصـــابة بالغة وفقد وعيه، قرروا التخلّص من ابنه، أما أبناؤه البقية لم يكونوا متواجدين حينها.

"الشـيطان يُزين للإنسـانِ وسـاوسـه ويجمّلها، حتى يكبر في قلبه حب الدنيا والسطو على ما ليس له، ظنّاً أنّه سيغنى وما عَلِمَ أنّهُ سيفنى".

بعد تلك الفتنة، التي أرادت أن تفكك أواصر الأخوة، وكأنها كانت مرتبطة من أجل أرضٍ لتفرّق النّاس، فجُرح من جُرِح، وهاجرَ من هَاجر، أمّا أم 'ناصر' تنعي زوجها المصاب وابنها الذي اختفى وبات مجهول المصير.

في ساعاتِ الليلِ الباردة، تحت وطأة الجوع والعطش، وكأنّ ما حدث كانَ قبل سنواتٍ عِدَة، مُمَددٌ على قاعٍ صلْبة، وخَدّهُ الأيمن قد ارتسمت عليه علامات الألم، ببطء شديد يرمش حتى أرخى عينه، استيقظ 'ناصر' خائفاً وبخفةٍ يتلفت يمنةً ويسرة، 'سِجن!' نعم الذين اختطفوه ألقوه في السجن مع كومةٍ من السّجناء، احتضن نفسه لا يدري ماذا يفعل؟، اجتمع الهلع والجوع والعطش وشدة البرد مع الوحدة 'لماذا أنا هنا؟' يُكنّها في جوفه، لاحظ قميصه الذي امتصّ الدماء، فتذكّر أباه ولحظات الشّدة، انهمر في بكائهِ المرير محاولاً كتم أنفاسه.

تتعالى أصواتٌ من الخارج..

أيها السجناء لم يعد هناك سلطات حاكمة؛ فلينجُ كلٌّ بنفسه، الثوار باتوا على مشارف القرى، كانت وقتها ثورة ١٤ من أكتوبر ١٩٦٣م ضد الاستعمار الإنجليزي، ارتعبَ السجناء وازدحم المكان بتصادمهم أثناء الهروب، وفُتحت جميع الأبواب وأُطلق سراحهم، كان في الممر صندوق كبير يوجد به بنادق، تركتها إدراة السجن متعمدةً ذلك، ومع زحمة المساجين وكلٌّ يريد أن يفر بجلده، وقف 'ناصر' وشدّ من عزمه ومسح بيده دموعه، وأخذ بندقية يحتمي بها، كانت ثقيلةً عليه بل تكاد في طولهِ يجرّه جَراً، وإذ به يخرج من بوابةِ السجن لا يعلم أين سيتجه وأي طريق سيسلكه ومع من؟

صوت ينادي..

_'ناصر،..ناصر..

اقترب منهُ رجلٌ مُلثمٌ، طويل القامة، ضـخم البَنية، فتح اللثام عنه حتى يُطمئنه.

ناصر بقلق يتصنّع القوة:

_من أنت؟ ماذا تريد؟ اتركني وشأني.

_لا تقلق يا فتى، سـأخبرك لا حقاً من أنا، كنتُ أنتظرك، هيا بسرعة قبل أن يرانا أحد.

ناصر بوجَل:

_هل تريد قتلي؟ لن أذهب معك.

الرجل مُتأففاً:

_حسناً؛ لقد ذاع صيتُك في القرية أنّك قد مِتَّ، ولحظة اختطافك شهدها أحد رجالنا أثناء الحادثة، فتبعك حتى تأكدنا من وجودك، وصـادفنا خروجك من السجن، هيا يا فتى دعنا نُسرع قبل طلوعِ الفجر.

ناصر بحذر:

_'من أنت؟'.

_يا إلهي لم تترك شـــيئاً من أبيك، نحن أخوال أخيك 'محمد' والذي ســـنوصـــلك إليه، تنتظرك رحلة طويلة خارج البلد، ريثما تعود الطمأنينة بين المختلفين.

هدوءَ مع طيف ســعادة اعتنقت روح 'ناصر'، 'فمحمد' هو أخوه الأكبر غير الشــقيق، رجل أعمال حُر اتجه إلى (مكة المكرمة) حيث اســتقرّ فيها يدير تجارة أبيه. كانت الطريق، وعرةً مليئة بالجبال الشـــاهقة، ظلامٌ يقذف في القلوبِ وحشة وهلع؛ تورّمت قدمَا 'ناصر' من المشي، فالعطش والجوع قد أخذ من جســده، ولا يســتطيع أن يتخلى عن بندقيته التي أثقلت ظهرهُ الصــغير، توقف الرجل الذي معه يبحث عن ماء يروي جفافهما، لم يكن يمتلك أية مؤونة للطريق، فإذا بمســتنقعٍ خَلّفته الأمطار لم يتبقَ فيه ســوى القليل من الماء والحشرــات تملؤه، شربا منه دون أن يكترثا لما فيهِ من الأوســاخ حتى ارتويا، حاول 'ناصر' الوقوف فلم يســتطع، الدماء تســيل من قدميه وحذاءه تحول إلى قطعٍ متناثرة يجمعهما بصــعوبة، وبعد صــبرٍ مرير انتهت تلك الليلة القاتلة، ليصــلا إلى المكان المتفق عليه، كانت بانتظارهِ ســيارة (هايلوكس) حمراء اللون تتحمل السير في الصحراء والمسافة قدرها 3000 كم، صحراء 'الربع الخالي' هي المحطة الأخيرة للخروج من موطنهِ متجهاً إلى مكة المكرمة.

كانت خطة الرحلة أن يقطعوها ليلاً حتى لا تتم ملاحقتهم، فالنهار يقضــونه راحةً والليل ســفراً، كان 'ناصر' برفقة ثلاثة رجال مهمتهم ايصــالهِ حيّاً يُرزق، وبعد أيامٍ وليالٍ وصــلوا 'مكة' بســلامٍ آمنين؛ نزل ناصر من الســيارة ليرى رجُلاً ثلاثينياً باســطاً ذراعيه، توهجَ وجهه ليركض مسرـعاً باتجاه أخيهِ، احتضــن

كلٌّ منهما الآخر وأجهش 'محمد' بالبكاء أينعي أباه المصـــاب، أم ينعي أخاه الكسير.

"الظروف القاسـية هي محطة في الحياة تجعل منك إنسـاناً، يتطلع نحو المعالي إن سـخرتها واتخذتها صـديقاً لك، وأمّا إن جعلتها عدوا فسـتُلقي بك في زقاق الحياة".

_ناصر ما بك! مرت بضع سنين ولم أشعر براحتك، هل هناك ما يُزعجك؟

_أخي 'محمد' أريد العودة إلى القرية، اشـــتقتُ لأمي، أريدُ أن أكمل دراسـتي، التجارة عملٌ لم يرقني، أريد الرحيل من هنا.. "قالها على اسـتحياء من أخيه".

وضـع "محمد" كوب الشـاي وهو يدقق فيما قاله أخيه، ثم أشـاح بنظرهِ يتأمّل في أفكارهِ، ثمّ تنهد بعمق وهو يُشبك بين أصابعه:

_حسـناً لا تحزن الأمور في القرية ربما تحسّـنت، وسـأنظر غدا في طريقةٍ يسيرة حتى أوصلك لأمك،

ومنها تكمل تعليمك، هيا أرني السرور على وجهك..

أشار بحاجبيه مع ابتسامة.

وَثبَ 'ناصر' من مكانه مبتهجاً، وعانق أخيه أشـــد العناق، شـــاكراً له صـــنيعه، وظلا يتمازحان ويُقصـــان الحكايا، وبذلك اسـتطاع 'محمد' أن يكسرـ الحاجز الذي كان بينه وبين أخيه، وأخرجه من مُرافقة الحزن.

في اليوم التالي توجه 'محمد' باتجاه صديق له علّهُ يجد ضالته، وها هو القدر تُزهر حدائقه، تمّت المُعاملات على قدمٍ وساق، سيَضاف 'ناصر' إلى الجواز بدلاً من ابن صديق أخيه، ولأنه قديما لا توجد بصمات؛ فكانت رحلة العودة غير مُعقّدة. وبعد أيامٍ توجه إلى مطارِ 'جَدّة' نحو العاصمة 'عدن'، كانت المرّة الأولى التي يركب فيها 'ناصر' الطائرة في ستينيات القرن الماضي.

"كان وضعاً استثنائياً وأنا أحلّق في الأجواء، شعرتُ أن تحليقي يجب أن يكون هكذا نحو مُستقبلي، متجاوزاً سُحُب الظروف القاهرة، ساعة ونصف كانت ولادة البحث عن طموحي "ماذا تريد أن تُصبحَ يا ناصر؟"، وصلنا إلى المطار وقفنا أمام ضابطان في عقدهما الثالث، يرتديان بدلة عسكرية بيضاء مع قبعة سوداء مُقوسة من الأمام بنصف دائرة، يتوسطها شعار على هيئة نسر مفرد جناحيه بلونٍ ذهبي، وعلى كتفي كلٍّ منهما نجمتين، يبدو أنها تُبين رُتبتيهما العسكريتان، يقفان بثباتٍ وانتصاب في تنظيمٍ لحركة المسافرين، وختم أوراقهم الثبوتية، شدّني مظهريهما المُعتّق بالفخامة، حتى أنّ فمي ظل منفرجاً مع طلوع بؤبؤ عينيّ، حينها ارتطم رأسي بأحد أعمدة المطار لأعود إلى رُشدي، بالرّغمِ أنني كُنتُ جاهلاً ماذا يعني أن تكون عسكرياً، أخذتُ شهيقاً عميقاً وهمستُ بدعوةٍ في داخلي

"يا رب أريدُ أن أُصبح ضابطاً".

كانَ في استقبالي أخي 'سالم'، آخر لقاء بيننا قبل تلك الحادثة بيومٍ واحد بعدها سافر واستقر في'عدن'، استقبلني بحفاوةٍ، مررنا على جسرٍ يحيط به البحر عن اليمين والشمال، في الجهةِ اليمنى أرى المطار والطائرات وهي تهبط، أمّا الجهةِ اليسرى فكان (ميناء عدن) الذي يحتل المركز الثالث عالمياً لموقعه

الاستراتيجي المُطل على مضيق (باب المندب)، إنها مدينةٌ ساحرة، لذلك سال لُعاب الإنجليز لأجلِ السيطرة على أهم ممر للسفن التجارية والنفطية، وإلى يومنا هذا ما فَتِىءَ الصراع مستمراً بين الدول الكبرى.

'سالم' يكبر أخي 'محمد' بسنتين، وهو يعمل موجهاً تربوياً لمادّتي اللغة العربية والتاريخ، اهتم بدراستي جيدا، حتى أتممتُ ما فاتني في سنةٍ واحدة، وفي العطلةِ الصيفية كان موعد لقائي بأمي، سنواتٍ عدة اكتويت بنار البُعد عنها.

الجزء الثالث

.#اليمن_عدن

《١٢_١٢_٢٠١٧م》 ... 《٢٣_٣_١٤٣٩هـ》

......

في عقده الخامس بعد الكفاح وصعود سُلّم القِيادة، على قناةٍ تلفزيونية حكومية، تحديداً في غُرّفةٍ مُجَهْزة بأحدثِ آلاتِ التصـــوير، وقبل بدء البرنامج بعدةِ دقائق أو تزيد، أمام المرآة يتفَقّد إطلالته العســكرية، بجســـدهِ الممتلىء وقامتهِ المُهيبة، وخُصـلٌ بيضـاء تضـم أرضـية شـعرهِ الحالك، سـاعةٌ من الجِلد الفاخر تحيطُ بمعصمه، وخاتمٌ من الفضّة يتوسطه فُصّ حجر أسود من العقيق يُزين إصبع البنصرـ على الكتفين سيفين يتوسطهما شِعارا النّسرـ وعلى صدرهِ الأيمن مُدرّجات من الأوســـمة ذات حجمٍ ســـميك، تحكي بطولاته في قيادةِ المعارك، وعلى صدرهِ الأيسر يلمع اسمهُ العسكري برتبته الجنرال

ناصر بن عبدالله بارويس الحِمْيَري.

تنتهي الشـارة الموسيقية الثورية، يبتسـمُ الصـحفي وهو ينسـج عبارات الترحيـب لضـــيفـهِ العســـكري، ليكمـل الجزء الثـاني من حيـاتـهِ الحـافلـة {سُلطان_حِمْيَر}.

_ســـيادة الجنرال في الجزء الأول ألقينا الضـــوء على حياتك الطفولية القاسية واقتربنا من شبابك، لنفتتح الجزء الثاني.. كيف التقيت أمّك؟

وهو يضيق عينيه مع طيف ابتسامة:

_لقائي بوالدتي مؤثر جداً، حيث أن جُلّ القبيلة استبشرت بعودةِ السيد عبدالله وليس ابنه فحسب، لم تترك أمي مكاناً في جسدي إلّا واستنشقته، رددت بضع كلمات يا (حبيب أمّك) لأن الدّموع هي سيدة الموقف، أقيمت الولائم لأجلي والجميل أن والدتي كانت سيدة لها علاقاتها الودّية مع سيدات نساء القبائل المجاورة، حتى أولئك الذين حدثت معهم الفتنة، شعرتُ حينها بقيمتي كإنسانٍ وُلد من جديد، شعرتُ بأنّي لستُ طفلاً بل رجلاً ينتظرهُ شأنٌ عظيم.

_بعد عودة المياه لمجاريها.. ماذا فعلت حينها، وما هي خطتك، من أين بدأت؟

_"كنتُ شغوفاً بالدّراسة فأتممتُ المرحلة الإعدادية بالقرب من والدتي، ذات يوم وقع في يدي كتابٌ يتألف من خمسمائةِ صفحة، بعنوان (وتحطّمت الطائرات عند الفَجر) للكاتب المصري/صالح مُرسي، كتابٌ شيّق يتحدّث عن نكسة يونيو_حُزيران ١٩٦٧م، حينما قصفت الطائرات الإسرائيلية فجراً ثلاث مطارات عربية (مصر،سوريا، الأردن)، فكانت انتكاسة العرب حَلّت من هناك، بالنسبةِ لي كان أول كتاب استخباراتي، قرأتهُ خلال يومين فقط وحفظت تفاصيله، كل ذلك وأنا ذاهبٌ إلى المدرسة سيراً على الأقدام، أستغل قراءته في النهار ففي شرع القُرى لا يجوز السّهر، أتذكر أن عمري في الثالثة عشرة.

_سيادة الجنرال.. كيف اخترت تخصصك، ما حكاية أنّك درست المرحلة الثانوية، والجامعية معاً خلال ثلاث سنواتٍ فقط؟

ضحك 'ناصر بفخامة' وبقولِ حصيف:

_ "كنا خمسة عشر شاباً، كلُ واحدٍ منّا رُشّح على مستوى منطقته، فكنتُ حينها المُمثّل الوحيد عن منطقتي، لم يكن للوساطة أي وجود، التميز هو من يجعلُك في المقدّمة، خضعنا لفحوصاتٍ طبيّة واختبار تحريري في "وزارةِ الدفاع"، فتمّ اختيارنا للدراسة في "الاتحاد السوفيتي". عن طريق الخطوط الجوية الرّوسية، وعلى متن طائرة "الآيرو فلوت"؛ اتجهنا من "عدن" ثم "مصر" وصولاً إلى مدينة "أوديسا" الروسية، مدينة ساحلية تقع على البحر الأسود، انتهينا إلى "الكلية العسكرية المتحدة"، مُتحدة لأنها تجمع جميع التخصصات، فقسّمونا إلى ثلاث مجموعات، كل مجموعة تحتوي على خمسة أشخاص، المجموعة الأولى "قيادة وأركان مدرعات"، والمجموعة الثانية "هندسة الميدان"، والمجموعة الثالثة "هندسة الآليات المدرعة أو المُركبة أو المدولبة"؛ فوجدتُ أن القدر وضعني في قسم "قيادة وأركان مدرعات"؛ اختبار القبول كان بمثابة المرحلة الثانوية، والدراسة العسكرية ذات الثلاث سنوات هي المرحلة الجامعية، تخرجت من هذا كله وأنا في العشرين من عمري.

_كنتَ طموحاً للغاية.. ما نوع الدراسة التي مرّت عليك؛ وخاصة أن اللغة الروسية هي الأم؟

أخذ كوباً من الشاي ورشف منه بِخفةٍ ثُمّ:

_اللغة الروسية ليست صعبة، وبالمقابل ليست بالسّهلة؛ وخاصةً أنّ الدّراسة بلغتهم؛ وإن لم تتقنها فأنت ستنتهي؛ أتذكر مع بداية الفصل الدراسي في طابور الصباح، كان من يُلقي الإذاعة هم طُلّابٌ من السنوات المتقدّمة، فقلتُ حينها في نفسي سترون اليوم الذي أتفوق به عليكم جميعاً، دخلتُ حينها في تحدٍ مع نفسي وحتى تتقوى لغتي لم أختلط مع العرب، وفعلاً مرّت ثلاثة

أشــهر لأصــبح مُترجماً (عربي_روسي) وليس مجرد مُتقناً، وعلاوةً على ذلك كنتُ الممثل الوحيد عن بلدي في إلقاء كلمة الطّلاب أثناء الاحتفالات.

_ســـيادة الجنرال في كل مرةٍ تفاجئني أكثر.. على ذكرِ العرب مَن الذين درسوا معك، وهل أصبحت صديقاً للمُدرّعات؟

_كانت الدراســة هُناك تضــم 'لمنظومة الاشــتراكية، أو ما يســمّى بلدان ذات التحرر آنـذاك؛ مثـل: (أفغـانســـتـان، كوبـا، الكونغو، كمبوديـا، فيتنـام... وغيرها)، ومن العرب (اليمن، ســـوريا، العراق)، أما (الجزائر، ليبيا) كانت من (٣_٦) أشهر ثم يعودون لبلدانهم لأن دراستهم باللغةِ الفرنسية.

نعم أصبحتُ صديقاً فريداً للمدرّعات؛ فبفضلٍ من الله وحده وتوفيقه قمتُ بقيادةِ "الدّبابة" دونَ إشرافِ أو إرشــادِ من أحد، اعتمدت على الدراســة النظرية، كان ذلك في السنة الأولى وعمري سبعة عشر عاماً، حصلتُ على المركز الأول في رماية مدفع الدّبابة، والمُسدّس، والبندقيّة، والرّشاش، والقنابل اليدوية، قد تتفاجأ، ولكن الدّراسة كانت قوية والتقييم كان بالشكلِ اليومي، وهذا أكبر عامل مُشجع في أن تعطي أفضل ما عندك.

_سيدي أنت مُناضِل.. متى عُدت إلى بلدك، ومتى تزوجت؟

أسند "ناصر" رجله على الأخرى ثُمّ رفعَ بصره، وكأنّه يُرتّب ذاكرته:

_حينما ذهبتُ إلى الدّراســة في الســابعة عشر؛ كان حينها قد مَرّ على زواجي ثلاثة أشـــهر، زواجي كانَ تقليديّاً، فزوجتي ســـيدةٌ عظيمة أنجبت لي قاضياً، واقتصادياً، وضابطاً يطمح بأن يسلك طريقي؛ وطفلتين صغيرتين، حقيقة شـــعرتُ بذلك بعد عمرٍ طويل، أما شـــبابي فكنتُ منهمكاً في عملي، لن أنكر

جميلها فقد كانت "خديجة" زمانها لكنني لم أكن بســـبب بعدي وعملي لها "محمد" زماني ..'أوردها بضحكاتٍ متتابعة'.

أمّا عن عودتي فقد تخرجت برتبة "ملازم ثانٍ"، وبدأتُ حياتي العملية قائد فصـــيلة دبابات، كان ذلك في في أكتوبر ١٩٧٦م ومعي طفلي الثاني، في حدود العشرين عاماً.

_سيدي الجنرال.. متى أول مُناورة عسكرية حضرتها؟

_"بل قُل أول مُناورة كانت تحت قيادتي، مُناورة عسكرية ضخمة تحت مرأى القيادة الســياســية الحاكمة آنذاك، ونتيجة لأدائي المُتقن وما لاحظوه من تطور للجنود، والقيادة التي كنتُ مســؤولاً عنهم، تمت ترقيتي إلى "قائد كتيبة" برتبة "ملازم أول"، حينها كنت في الخامسة والعشرين، وفي نفس العام أُبلّغ بأن هناك دورة أكاديمية "ماجستير" تنتظرني وهي "أكاديمية المدرعات" في "الاتحاد السوفيتي".

_دراسة أكاديمية! يُعتبر شوطاً جديدا يُضاف إلى حياتك، ما هو المُختلف هذه المرة؟

تنهّدَ 'ناصر' بعمق، تغيرت تفاصـيل وجههِ إلى الرّسـوخ، أشـار بإصـبعه السبّابة واسترسل:

_"أيّها الصـحفي! كُل إضـافة جديدة في حياتي، دفعتُ خلفها ثمناً باهظاً من روحي؛ إن لم يكن داخلك صـوتٌ عالٍ يدفعك إلى القمّة، سـتبقى في مؤخرة البشرية، اتصلت عليّ " وزارة الدّفاع" بأن أخضع للفحص الطبي مجدداً، وقبلها بيومٍ أصـبتُ بالتهابٍ حاد في اللوزتين، حتى أنّي كنتُ أراها بالمرآه بارزةً يُغطيها

القيح، حرارة شـديدة تمسـكت بي؛ حسـناً: إن ذهبت إلى الطبيب سـيأخذ منّي موعداً، ثم سـيكتب لي علاجاً ويقرر عملية، الوقت يمضيـ والفحص الطبي سيكون في الغد، الحياة فرصة، وأن أدرس الأكاديمية في ذلك العُمر الصغير هديّة ربّانية؛ استجمعتُ قوتي وأدخلتُ إصبعي بِعُنفٍ وهجمتُ على اللوزتين "سالتِ" الدّماء و"انفجرَ" القِيح؛ في اليومِ التالي كأن شـيئاً لم يكن، تم فحصيـ وقبولي، وبعدها بعشرةِ أيام أصبحتُ في العاصمة الروسية "موسكو"؛ قضيتُ أربع سـنواتِ دراسـية من أمتعِ ما يكون، تخرجتُ بامتيازٍ، ثم عدتُ إلى الوطن وعمري يعتنق التاسعة والعشرين.

_رفع أحد حاجبيه في غرابة ودهشة.. سيادة الجنرال أتوقع بأنّ تقدّمك سيخلق لك أعداء؟

استضحك في سِرّهِ مُستطرداً:

_"تعرضـتُ لحوادث اغتيالٍ مُختلفة، وفي كل مرّةٍ أنجو والحمدلله، يريدونك أن تظل محشوراً في الزاوية دون هدف أو بصمة، في ذلك الوقت تم نقل قائدي إلى مقر "وزارة الدفاع" وطلبني لأكون معه، يعلم بمدى إخلاصي في العمل، فانتقلت من العمل الميداني إلى المكتبي، باشرتُ في عملي الجديد لأُفَاجأ من حراسة البوابة بأنّي ممنوع من الدخول، كان حينها قائدي قد جاءته دراسة عاجلة في "روسـيا"، حاولت أن اسـتفهم لكن دون فائدة، توجهت إلى منزلي، وقررت أن استقيل، فمثلما دخلت بشرف سأخرج بشرف، جهزت أوراقي ورُتبي العسكرية،

وفي صباح اليوم التالي جاءني اتصال، بأن وزير الدّفاع يطلبك شخصياً، بعد ساعاتٍ من وصولي، قابلتُ الوزير فاستقبلني بحفاوة، وأخبرني بأن ما حصل البارحة هي تصرفات فردية، وتمت محاسبة المتسببين، لذلك مُبارك عليك المنصب الجديد "مدير مكتب وزير الدّفاع"؛ هذا يعني بأن كل شاردة وواردة في ا لبلد، سأكون أول من يطّلع عليها، بفرز الأحداث الهامة لنقلها إلى الوزير، بعدها بشهر تأتيني برقية بأن القيادة السياسية قد اختارتك لمنصب آخر وهو "رئيس أركان حرب المحور الأوسط"، هذا المحور هو القلب النابض للبلد، وبذلك أدخل سُلّم الصّف القيادي الأول، وأنا في الثلاثين من عمري.

_سيدي الجنرال محطّات حياتك نادرة لن أكف عن الدهشة.. أخبرني عن موقف حزين في حياتك؟

_"المواقف الحزينة جمّة لكن الذي أسقط دمعتي هو وفاة "أختي" الكُبرى، ودعتها صباحاً ووصلني خبر وفاتها مساءَ، لم استطع حضور الجنازة، كانت البلاد تمر بأزمة سياسية، وخروجي من مكتبي يُعرّض حياتي للخطر، رغم أن الفاصل بيننا ساعة واحدة فقط.

_رحمها الله.. موقف طريف وجميل أبهج الجنرال/ ناصر؟

أشرق وجه "ناصر" وأفسح عن سعادته مُستحضراً:

_"بعد ثلاثة ذكورٍ وأزمنة مديدة أضاءت دُنياي بطفلتي "مُنى"؛ غيّرت مجرى حياتي واستشعرت معنى الأبوة، لأنّي بِتُّ مُستقراً، هنا لم تنطبق عليّ الآية :(وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مُسودا وهو كظيم) بل اكتملت

ســـعادتي، قدّمت طلب إجازة في أوانها، لم يكن حينها قيادي متواجد غيري، فبلغني الجواب أن يتم تأجيل الإجازة، أمسكتُ القلم فأجبتهم :

(من الممكن أن تُؤجّـل الإجـازة، لكن ليس من العقـل بمكـان أن يعود الجنين إلى بطنِ أمّه)؛ حينها سمحوا لي؛ فاحتضنت صغيرتي.

_سيدي! هل هناك مميزات للشخصية القيادية، لنقل كيف أصير قائداً؟

صمت بُرهةً واكتسى وجهه بالهدوء:

_هناك فرق بين أن تصبح قائداً، وبين أن تكون قائداً حقيقياً، القيادة لها أشـخاصـها، أولها الإيمان الحقيقي بأنّ ما وصـلت إليه هو توفيق من الله ليس بمجهودك فيصـــيبـ ك الغرور، الثقة، الجرأة في قول الحق، الثّبات، الأخلاق حتى مع الأعداء، الحكمة، الاحتواء لمن هم أقل منك، واستيعاب من هُم في مستواك العَملي، الاطلاع على ما هو حولك من أحداثٍ ومجريات تضرـــب العالم وليس بلدك فقط، الإتقان والإخلاص في العمل، السّرـــية التامّة والغموض، وخاصـــة في المجال العســـكري، الثقافة بأن تكون قارئاً في مجالك وغير ذلك، الفراســـة؛ فالفراســـة وهذه بالذّات تحتاجها حينما تتخذ قراراً مصـــيرياً، وتحت ســـلطتك آلاف من الجنود حياتهم بين يديك.

_في حيرةٍ.. ســـيدي الجنرال ذُقت اليُتم والقيـادة؛ هـل جرّبـت مـذاق السّجناء؟

مشيراً بالسبابة والإبهام في نصفِ دائرة كرمزٍ لمن يُقلل من نفسه:

_أكبر سِـــجن في حياة الإنســـان هو ســـجن ذاته في إطارِ محدود؛ ذُقت سِجن الجسد وليس الفكر؛ في أكبر أزمة سياسية تضرب عُمق البلد بين سُلطة ومُعارضـــة، طُلِب مِنّي أن أُحرّك قواتي العســـكرية، رفضـــتُ هذا القرار وبعثت برسالة مضمونها "الوطن ليس لُعبة أهوائكم"، وقدّمت استقالتي حتى لا أكون ســـبباً في إراقةِ الدماء، بعدها تم حصـــار منزلي وزجّي في الســـجن، تعرضـــت لتعذيب بشـــتى أنواعه، الزنزانة متر في متر مســـقوفةٍ بشـــباكٍ من الحديد، الحرّ شـــديد ويرشـــون على رأسي "بماءٍ ســـاخن"، دخل عليّ رجلان ملثمان للتحقيق معي،

وعندما لم يجدا منّي ما يريدونه، انهالا على جنبي الأيمن بالدّوس حتى أن حُبيبات أحذيتهم ظلت علاماتها مختومة على جنبي، كُسرـــ أحد أضـــلاعي، والمُضـــحك أني لا زلت أعاني إلى هذهِ اللحظة، كانت هناك أطراف تتربص بي، لم يعد للقانون أي دور، وقبل أن أُنقل إلى "سجن أمن الدولة" بساعات، وخاصة أن هذا الســـجن إن دخلته فاقرأ على حياتك الفاتحة؛ وجدني أحد الأصـــدقاء مستفهماً عمّا أفعله هُنا؛ فقلتُ له أنت تعرفني جيدا؟!

فغضـــب وأطلق سراحي، لم نعرف الســـبب ومن خلفه، عدتُ إلى منزلي بعد أن فقدوا الأمل في حياتي، لقائي بعائلتي وهم يتحسسون جسدي هل يعقل أنك حي! "ضحك ناصر وبرقت عيناه".

_الأقدار تبتسم لحظات لأصحابها، أين ابتسمت في حياة الجنرال/ ناصر؟

_أيها الصحفي؛ القدر لا يظلم أحدا، ولكنّك تجد نصيبك حيث يضعك الله، بعد أن وضـــعت الحرب أوزارها بين شـــطري اليمن، مكثتُ عامين دون

عمل، حتى صـــادف في يوم الجمعة أن حضرــ الخطبة الرئيس الراحل "علي صـالح"، كان في مسـجدٍ بالقرب من منزلي، انتهزت الفرصـة بعد الصـلاة، حاول منعي حراسـة الرئيس، فأذن لي فقلتُ: 'سـيادة الرئيس أنا قائد عسـكري بدون عمل وأعطيته اسـمي؛ فشـدّ على يدي داعماً، وقال: بعد عشرـة أيام أريدك في صنعاء، توكلت على الله وسـافرت من عدن إلى صنعاء، فإذ بي أصل إلى اجتماع لقادةٍ عسـكريين بصحبةِ الرئيس، بعد انتهائه أشـار عليّ بالبقاء، فأخذني لنجلس في خيمةٍ، ووضعت بين يديه سِجِلّي العسكري؛ فشهق مُتعجّباً أنت العقيد ناصر قائد المحور الأوسط؟!!

نعم!. لقد تذكرني لأنّهُ كانت بيننا اتصـــالات أثناء عملي السـابق، وله زيارات للمحاور العسـكرية التي كانت تحت سُـلطتي، فصـدر القرار الجمهوري بمنصب كبير المعلمين في (الكلية الحربية)

مع ترقية إلى رتبةِ "عميد" كان ذلك في منتصف الأربعين؛ وبعدها أتممتُ دراســة الدكتوراه؛ مكثت في هذا المنصــب عشرــ ســنوات، ثم صــدر القرار الجمهوري بمنصــبٍ جديد وهو 'مدير دائرة المشــاة البرية'، كان ذلك عقب ما يُسمّى ' بالربيع العربي'.

_في ظل الأحداث السياسية المتلاحقة، ما رأيك 'بالربيع العربي'؟

صمت بُرهةً وقال:

_'اللعبة أكبر من الجميع، هذا أقرب تفسير لأحلام الشعوب العربية'.

_سيدي.. هل 'اليمن الكبير' بخير بعد كل ما جرى له؟

شدّ على شفتيه قائلاً:

_' اليمن بخير إلى أن أصـــابه سرطان الحوثي الانقلابي في ٢١ ســـبتمبر ٢٠١٥ م، حيث تعرضــت البلاد لحربٍ شــعواء، كبرت فجوتها بســبب التدخلات الخارجية "الإقليمية_والدولية"، وها نحن على أعتاب السنة الخامسة، والأوضاع في انحدار مُخيف، الجديد في الأمر أننا بتنا مُســتنقعاً للخارج، والهوة اتســعت بين أبناء الوطن الواحد.

_ ماهي أبرز الأسباب التي أقيمت لأجلها الحرب، وكيف تمت المواجهة؟

_الأســـباب واهية بدايتها 'جُرعة' ونهايتها بلد مُدمر، أحقاد بين الأخوة، دماء وأشلاء هنا وهناك، تهجير ونزوح ولجوء، وخيانات متجددة.

أما عن المواجهة كانت شـــعبية على الأغلب، فأبرز القيادات في هرمِ الدولة غادرت الوطن، فتشكلت حينها 'المقاومة الجنوبية' في عدن والمحافظات المجاورة، أما صنعاء والجزء الشمالي من البلد سقط نتيجة تسليم المعسكرات طواعية.

_مؤسف حقاً.. سيادة الجنرال ماذا عن دورك العسكري؟

تنفّس 'ناصر' الصعداء والإصرار بادٍ عليه:

_'دقق فيمَ سأقوله أيها الصحفي، فأنا لستُ صناعة أحد، فذلك القسم الذي أقســمته وأنا أرتدي البدلة العســكرية، هو عهدي ووفائي وميثاقي لله ثم للشعب والوطن.

فبعد أن اهتزت أركان الدولة في 'صـــنعاء'، انتقلنا إلى 'عدن' كعاصـــمة مؤقتة، ومنها ندير شـــؤون البلاد، فقدمت رؤية وخطة مُحكمة لطرد العدو، وعرضـــتها على التحالف العربي، كونه الشرـــيك الوحيد معنا، وبدعم من أبطال 'المقاومة الجنوبية'، فكانت انطلاقتنا معركة تحرير 'مطار عدن الدولي'، حيث شـــنّت طائرات التحالف العديد من الغارات الجوية، كانت تلك الخطة (أ) وهدفها إرباك في صـــفوف العدو، ثم انتقلنا للخطة (ب) وهي مرحلة الهجوم، كان ذلك في ظهيرة ٢٧رمضـان ١٤٣٥هجرية، ومنها تم تدريجيا انسـحاب العدو عن 'عدن'، وتبقى لنا بعض الجيوب المتخفية، والقناصة تم ملاحقتها لاحقاً.

ولن أنسىـــ زملائي الذين كانوا معي منهم: اللواء/ جعفر، واللواء/ أحمد سيف، واللواء/ فضل حسن، والشاب الطموح وكيل المحافظة آنذاك الأخ/ نايف البكري.. ولن أنسىـ أيضـاً جنودنا وشـبابنا وكل من أفنى عمره في تلك المرحلة الحاسمة معركة 'السهم الذهبي'، رحم الله الشهداء، والعافية للجرحى،

كنتُ حينها بمنصب أركان حرب المنطقة الرابعة.

_جميل سيدي.. بعد خروج العدو كيف حافظتم على هذا المكسب؟

_أحســـنت الإشـــارة، في الحقيقة كان مكســـباً في الأمل واللُّحمة، مررنا بعقبات كثيرة، وتوســـمنا خيرا في تثبيت الأمن والأمان، ونهضـــة لليمن الجديد نواتها 'عدن'، فبعد أن تشرذم الجيش اليمني بين هذا وذاك، بذلنا قُصار جُهدنا لإعادة تركيبة 'الجيش'، فكانت مرحلة البناء وهي الأصـــعب، حيث أشرفنا على تأســـيس 'الكلية العســـكرية_عدن'، ليخرج لنا جيلاً وطنياً يعيد الحُلم اليمني،

وفعلاً حققنا نجاحاً باهراً وملموساً، لكن دون ذلك الطموح المنشود، والسبب يعود في ذلك إلى قلة الدعم من الشركاء، والمناكفات الضيقة.

_سيادة الجنرال.. ماهو آخر منصب توليته؟

_أولاً ترقيت إلى منصب قائد المنطقة الرابعة بالوكالة، ثم صدر القرار الجمهوري رسمياً إلى منصب 'رئيس هيئة العمليات في وزارة الدفاع' وهو الحالي.

يجب أن يدرك الإنسان أن الترقية والعلو في حياته معناه أن:

'المسؤولية والعطاء أكبر من النوم والراحة'.

لم أنتظر للصحفي أن يختم لقاءه مع أبي، وحُكْتُ في جوفي أحداثاً لم يتطرق إليها، الحياة ليست مفروشة بالورود، فهناك من يحسدك على تفوقك وتوفيقك، توفيق الله لك ثم تفوقك بمعولِ التمسك بأعلى الهرم، إن لم تُحب عملك بصدق وإخلاص فإنّك لن تصل مهما كانت الظروف ملائمة، جوهرك يجب أن تُقدسه في حدودِ المعقول، حتى يرسم معالم كينونتك، الحياة صعبة لمنِ استصعبها، وسهلةٌ على الشّجاع الذي يغوص في بحارها؛ فهي بين المد والجزر، بين الشد والجَذب، الناس الطيبون، العائلة، الأصدقاء و و و، هُم عامل مُساعد لا غير، أنت! أنتَ أساس ذاتك، لذلك أطلق في عُمقك روح الأمل، أشعل فتيل التنافس المُشَرّف، كُن مؤمنا بقوتك صافٍ في عقيدةِ طموحك.

الجزء الرابع

..(٤)

قبل أن يتجه "أبي ناصر" إلى مقرّ اللقاء الصحفي؛ سألته عن تلك الأرض التي كانت سببا في تفرقةِ يوسف وإخوته؛ وبعدها ماحدث له وبعده عن أبيهِ، وقُرب أُمّه.

فأجابني بحزم؛ ابنتي "مُنَى":

تلك الأرض باتت أكبر مقبرة في القرية، يُدفن فيها من تنتهي قصته الحياتية، لتكون درساً؛ حتى لا تعود سيرة قتل قابيل لأخيهِ هابيل.

إن 'أبي' ليسَ إنسانا عاديا أبدا، بل منهجاً دراسياً يُرشدك إلى طريقك في الحياة، بل هذه أيضا شهادات الناس فيه، فهوَ حنوناً، شديداً، غامضاً، ضحوكاً، مُضحياً، عميقاً، متفائلاً، مُبادراً، صبوراً، حكيماً، كريماً، شُجاعاً، مِقداماً، مُثقفاً، قليلاً في أقواله، كثيراً في أفعاله، وهبه الله خصلتين نادراً ما تجتمعَان في إنسانٍ ما؛ وهما:

مَلَكَة القائد العسكري في الميدان، والمُحلل السياسي المُحنّك، الذي يتنبأ شكل ملامح المستقبل، بناءَ على الماضي والحاضر، وهذا ما جعله صاحب قرار يؤخذ برأيه.

٢٠١٥م هذا العام لن ينساه اليمنيون في تاريخهم الحديث، فهو بوابة حربٍ أحرقت الأخضر واليابس، لم تكن حرباً واحدة من قبلِ الميليشيات

الحوثية ضـد الجمهورية اليمنية الحديثة، بل بسـببهم علقنا في عنقِ الزجاجة، ودخلنا في حروبٍ عديدة لا زلنا نكتوي بها، سـتجد في اليمن حرباً أهلية، وطائفية، ومناطقية، وإعلامية، ونفسـية، وعلاوة على ذلك تحولنا مسـتنقعاً للتصـفيات الخارجية بما يسـمى (حربا بالوكالة)، فلم نعد نعلم في أي خانةٍ نُصنِّف حربنا، اختلط علينا الحابل بالنابل.

بعد سـقوط العاصـمة صـنعاء، واسـتغاثة الرئاسـة اليمنية لدول الجوار، تدخل التحالف العربي جواً، لكن هذه المرة في العاصمة الاقتصادية 'عدن' ثغر اليمن الباسـم، احتدمت المعارك بين الميليشـيات الحوثية من جهة، والمقاومة الجنوبية اليمنية من جهةٍ أخرى، مع البداياتِ الأولى للحرب، كانت هناك خطة لتحرير (مطار عدن الدولي)، فقررت كافة القيادات أن يتم تسـليح الجنود مع السـاعة الثانية فجراً بعد منتصـف الليل، ومعركة التطهير سـتبدأ صـباحاً، رفض 'أبي' تسليح الجنود في هذا التوقيت جملةً وتفصيلا، وقال مُعرجاً على ذلك:

_يجب في هذا الوقت أن ينام الجندي، حتى يسـتعيد قوته فيسـتطيع القتال والثبات في أرضِ المعركة، نمتلك بحدود الألف جندي مقسـمين على وحدات مختلفة، سـيقفون بالطابور حتى يسـتلم كلاً منهم سـلاحه، ثم نطلب منهم صباحاً أن يذهبوا و يقاتلوا وهم أساساً في حالةِ سهر، لن يستقيم الأمر على ذلك، ولن نستفيد من طاقة الجندي.

ففي النهاية هم بشر ولهم طاقات محدودة.

رغم النصـيحة إلا أنّه تم تسـليح الجنود، وكان اللقاء في اليوم التالي مع السـاعة السـادسـة صـباحاً، وصـل 'أبي' إلى المكان المحدد (ملعب ٢٢ مايو) على

حســب الاتفاق، ففوجئ أن بعض القيادات تخلّفت عن الحضــور، ولم يحضر سوى قائدان فقط، والسبب مجهول حتى هذهِ اللحظة.

ركِبَ 'أبي' سيارته ومعه أحد القادة، كان في طريقِ العودة، فمن الواضح أن المعركة ألغيت، وبينما كانا يستعدان للذهاب، جاء أحد الجنود مستغيثاً أنّ القائد الفلاني هدد جنودنا، والقائد الذي بصحبةِ

'أبي' شحن بندقيته، فصرخ عليه غاضباً:

_'هل تريدون زجّنَا في مصيبة أعظم من الحرب، ماذا سيقولون؟! اقتتل الأخوة، سنتبين من الأمر ثم سنقرر حينها بما هو أصلح للجميع، عُد إلى رشدك يا صديقي'.

انطلق 'أبي' مع صديقه للقاء ذلك القائد، والتقوا بعد دقائق فالمسافة لم تكن بعيدة، كانت الأجواء مشــحونة من كلا الطرفين، وجُند القائدان في حالة تأهب، فحدوث أي خطأ في تلك اللحظات، ســيقيم مجزرة تغمر عشــب ذلك الملعب بالدماء، توسط 'أبي' القائدان، وقال:

_'ما خطبك ولماذا كل هذا التأجيج؟!'.

كانت الشرارة بائنة عليه، فقال:

_'لم يتم تسليح جنودي، وسلحوا جنود هذا الذي معك، ونحن مقبلون على معركة، أين دعم جنودي؟'.

هزّ 'أبي' رأسه يمنة ويسرة ذاكرا الله بصوتٍ عال، وقال:

_'هل عدم دعمك بالسلاح، يُعد مبرراً لسيلِ دماء إخوتك، وكلاكما على نفس الخُطى والهدف؟ هناك حلول أخرى، فمثلاً قدّم شكوى، أو بلغ القيادة ، أو استفسر عنِ الأمر، ما هكذا تورد الإبل'.

وإذ بصاروخ 'كاتيوشا' يقصف العمارة التي أمامهم، ليؤجل الخلاف بينهم، فصاح 'أبي' على الجنود أخلوا المكان، هناك 'عين' بيننا، الهدف القادم سيصيبنا، تحركت جميع الأطقم العسكرية، واصطحب 'أبي' معهُ القائدان المختلفان على متنِ سيارته، فكان تحليل 'أبي' في محله، حيث أن 'العين' المجهولة، كانت تحدد الهدف للمليشات الحوثية بعناية، فسقطت حينها ثمانية صواريخ 'كاتيوشا'، جُلها في الملعب حيثما كانوا مجتمعين. نزل 'أبي' في مكان بعيد ومعه القائدان، وخلا بهم في غرفة منفصلة، ودار بينهم حديث لمدة نصف ساعة أو تزيد، بعدها برز القائدان على جنودهم في عناقٍ وِدي، وتصالحٍ في رسالة مفادها أن الأمور آلت إلى خير،

وبهذا يكون 'أبي' قد أصلح بين الطائفتين، وحقن دماء الأخوة ليتحدوا ضد عدوهم الحقيقي، وهذا يدل على تجاوب القائدين، ونيتهما الحسنة في تقارب القلوب، والتركيز على ماهو أهم، وكأن ذلك الخلاف الذي جرى، هو بمثابةِ نجاة، حتى ينجو من مجزرة كارثية لا يُحمد عقباها، وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيرا.

حقنة أمل..

بعد ثلاثة أشهر من الحرب الضارية، خرج الحوثيون من 'عدن'، كانت حرباً بين كرٍ وفر، فدخلت البلاد في كومةٍ من الهزائم المتلاحقة، والاغتيالات

الدموية للشـــخصـــياتِ البارزة والمؤثرة، ودب الرعب على الصـــعيد الرئاسي، والشـــعبي، عاد الرئيس بعد غربة إلى أرض الوطن، فأقامَ اجتماعا هامّاً لأجلِ المرحلة المُقبلة، وكان الحضـور يضـم رؤوس الفئتين العسـكرية، والمدنية، فكان الإحباط و الشـــعور بالتخاذل، ودخول البلد في دوامةٍ لا يعرف أين تســـير، بادٍ على وجوه القيادات والمجتمعين.

كان 'أبي' من ضـــمن تلك القيادات الأســـاســـية، والمدعوة لردمِ حالة الانكســـار، وبينما هم على ماعليه من الغمة، اســـتأذن 'أبي' الرئيس بأن يقول كلمة، فأذن له بالحديث، فقال 'أبي' بضع كلماتٍ قليلة:

_"سيدي؛ غادرتنا بشرعيةِ رئيس، وعُدت إلينا بشرعيةِ وطن".

بضـــع كلمات، كانت كفيلة بدب الروح في رحم الواقع، لتنفرج أســـارير الحضور ضجت قاعة الاجتماع بالتصفيق، وتبدل ذلك الركود إلى حماس، فحتى الذي في نفسهِ ضغينه أخفاها.

كانت 'لأبي' نظرة ثاقبة طويلة الأمد، حيث فعلاً دخلنا عامنا الخامس للحرب، وكل هذا القتال، والحوارات، وغيرها، لأجل التمســـك بشرـــعية الدولة والمتمثلة (بالجمهورية اليمنية).

مخاض ٢٠١٨ م كانَ في الكلية العســـكرية، تقع في منطقةِ (البُريقة_عدن الصـــغرى)، مع نهايةِ كل عام تتخرج منها كوكبة من الجنود، حيث يُقام فيها عرضـاً عسـكرياً، مع تسـليم الشـهادات ومنها يصـدر القرار الجمهوري بترقيتهم، تأنّق 'أبي' كعادته، واســـتعد مع بزوغِ الفجر للخروج مُتجهاً إلى مقرَ الاحتفال، أدرك 'أبي' الجسرـ ومن معه المؤدي للمكان المقصـود، اسـتوقفتهم نقطة أمنية،

فمنعتهم من دخولِ المنطقة، مُعللين ذلك بأنّ هنالك تدور اشـــتباكات طاحنة، فمنِع عنها الدخول والخروج. كان حينها شـقيقي الأكبر "القاضي عصـام" هو من يقود به، فنشأ جدالاً بينهما:

_'أبي! سنعود من حيث أتينا، المكان غير آمن'.

بعينين تدرس إحداثيات المكان، فأمره:

_'اســـلك هذا الطريق، يجب أن نصـــل إلى بؤرة الحدث، وأفهم مالذي يحصل بنفسي'.

_'أبي! ألم تســـمع ماقيل في النقطة الأمنية، منقطة 'البريقة' متوترة أمنياً، وخرجت عن السيطرة'.

_اســـمعني يوجد هناك جنود مُكلف أنا بإدارة عرضـــهم، وهم أمانة في عنقي، ثم لن أتخلى عن مسؤوليتي كرجل دولة أياً كان.

_'أبي! هناك من تراجع من القيادات، وصـــدر منهم بياناً بأنهم مُنِعوا، وبتصرفك هذا قد تجرنا للموت.

_كلمة أخرى تصدر منك...'.

عمّ الهدوء في الســـيارة، كان فيها 'أبي' وشـــقيقي الذي يســـوق به، وفي الخلف مرافقان، وانطلقوا إلى طريقٍ صـــحراوية، مُخيفة، ومرعبة لا حياة فيها سـوى أكوام من التراب كالكثبان؛ اسـتوقفتهم نقطة أمنية أخرى لكن لا يعلمون لمن هي، فسألوهم:

_'من أنتم؟!'

نظر إليهم 'أبي' فقال:

_'نحنُ فريق نزع الألغام'.

سـمحوا لهم بالمرور، وصـاروا في كبدِ الصـحراء القاحلة، فقام 'أبي' بخلع بدلته العسـكرية، وبقي بلباسـه الداخلي، اقتربوا من نقطةِ التماس، وأصـوات الرصاص تهز الجبال، لا يستطيع أحد تحديد مصدر انطلاقها، وقبل الوصول إلى الكلية العسكرية بقليل، كان في انتظارهم نقطة أمنية جديدة!!

أوقفتهم وبدأ التحقيق:

_ماذا تريدون، إلى أين تسيرون؟!'.

بنباهة أخذ 'أبي' دور الرجل البدوي التائه، وبكلماتٍ سريعة متداخلة قال لهم:

_'السـلام عليكم، أين الكلية العسـكرية؟!، أريد أن أصـحب ولدي منها، أخشى أن يصيبهما مكروهاً'.

فأجابوه بأنه لا يسمح بالدخول، وبينما هم في شدٍّ وجذب، كان في نفسِ النقطة يتواجد قائدهم، فعرف 'أبي' ورحب به، وحينها أدخلوه إلى الكلية العسكرية، وطلق الأسلحة لا زال يُسمع في الأرجاء، وصل 'أبي' إلى مبنى الكلية، وأمر بأن يحضر الجنود إلى القاعةِ الكبرى، اجتمع الجنود بصعوبة بالغة، وألقى عليهم كلمة مُقتضبة، وتم صدور القرار الجمهوري بترقيتهم، وتوزيع الجوائز، وكل ذلك بين لهيب النيران،

وحينها اتفقت القيادة أن لا يرد جنود الكلية المتمركزين في الأطراف، على مصـــدر النيران، حتى لا تزهق مزيدا من الأرواح بين الطرفين، فترأس 'أبي اجتماعاً مع قيادة الكلية العسـكرية والقيادات المتواجدة من خارجها، بوصـفه أعلى رتبـة ومنصـــب بينهم، وبعـد التشـــاور معهم، اقترح أن يكون التقرير الصحفي، هو أن العرض قد تم وذلك من خلال دمج مقاطع مصورة كانت أثناء التدريب لهذه المناســبة. فنتيجة ماحدث ألغي العرض، والســبب أن الطرف المتمركز على الجبال، المكلف بحماية الكلية العسـكرية من الخلف على حسـب الاتفاق، لم يحافظ على العهد لاختلاف الرؤى السياسية بين الطرفين.

ذات مرة في حديثِ الصباح مع 'أبي'، سألته عن موقفٍ حدث في شبابه، موقف قد يحمل في طياتهِ الغرابة، فقهقه ضاحكاً بأنه لا زال شاباً، توقف عمره عند ثلاثة وثلاثون عاماً، وهو عُمر أهل الجنة، كان دقيقاً حتى في اسـتشـهاداتهِ الفُكاهية، حينها أخذ رشفةً من عصير التفاح الذي يفضلهُ عند الصباح، فحدثني بقوله:

"مع بدايةِ السـبعينات، كنتُ أعمل في قطاعِ الإسـكان، مُهمتي إحصـاء أعدادهم في محافظة 'شَـبْوَة' شرقي البلاد، وعند المساء كانت عودتي إلى القرية، وبينما أنا في طريقي أمشيـ سـمعتُ صـوتاً يأتي من بين الأشـجار، خفتُ كثيراً أيعقل أنها شـياطين والعياذُ بالله، اقتربتُ من مصـدر الصـوت، والصـوت كان يقترب مني أكثر، وإذ بي أجد طفلاً صـغيراً لم يتجاوز السـنتين، حاولتُ أن أفهم من أين أتى وكيف؟، ولكن عمره الصـغير لم يسـاعدني في ذلك، احتضـنته حتى اسـتقر الأمان في داخله، فسـكت عن البكاء تدريجياً، حينها تفحصـت البيوت القريبة من هذا المكان، فلا بُد أن الطفل قادم منها، فوجدت قرية صـغيرة

بيوتها متفرقة، حملتُ الطفل بين ذراعي وهممتُ إليها، وعند وصولي كانوا في حالة استنفار، وكأنهم يبحثون عن شيء ما، ولما أقبلت عليهم علت أصواتهم متهللين ومستبشرين، فاستقبلني والدي الطفل،

ودموع البهجة بعودة صغيرهما تُعبرعن شكرهما لي، فتبين حينها أن الطفل ضائعاً منذ ساعات، حيث ابتعد عن القرية، فسلمته لأهله، ولكن أبوا أن أخرج دون وليمة تُقام لأجلي، فرفضت وابديت لهم امتناني وأن الوقت أصبح متأخراً، ويجب العودة إلى قريتي، فسألوني عن اسمي، فقلت لهم: 'ناصر'، فقالوا لي: وهذا سنسميه 'ناصر' الصغير، أبدلوا اسمه على اسمي.

مرت السنوات وأصبحت ضابطاً، وكبر هذا الطفل وبات شاباً، وصلني عنه أنهُ يبحث عنّي لرؤيتي، ولكن للأسف لم تجمعنا الظروف.

اغرورقت عيناي بالدموع، وأحسستُ مدى غرابة هذا الموقف، وأن الوفاء لا يقدر عليه إلا الإنسان الأصيل، وذاك الطفل حفظ 'وفاء الشكر' حتى صار شاباً، يا تُرى هل ما زال في الحياةِ حيّ يُرزق؟!

كان 'لأبي' طقوساً عند قدومِ العصرِ مع الساعة الرابعة عصراً، اتجه إلى المطبخ وأقوم بتحضير مشروباته الخاصة، أحياناً يأخذ أفكارها من أصدقائه، وتارةً من مواقع التواصل الطبية، وأخرى من اختراعاته، فأحضّر له قهوة الشعير مع القرفة والزنجبيل والنعناع، والشاي الأسود مع كعك مصنوع من الدقيق الأسمر 'البُر'، فهو صحي وخالٍ من التصبغات، وعصير الزنجبيل البارد الممزوج بالعسل، بحيث تصبح جاهزة أمامه، يتسلى عليها خلال فترة عمل عملهِ في المنزل بصحبةِ زملاء العمل. ومن الجميل المضحك في الأمر، أن طريقة صنعها

ليس ما نحن نعتاد عليه، فحتى طريقة إعدادها على ذوقِ 'أبي'، وعندما سـألته لماذا طريقتك مُعقدة وغير مألوفة، فيقول بثقته التي أحبها:

"القائد هو من يقود حياته، وليست حياته من تقوده".

علاقتي مع 'أبي' لم تكن عادية، رغم أن شخصيته العسكرية، والقيادية لا تسـمح لأي فتاة مع أبيها أن تكون بهذا القُرب الجَم، لكنني كنتُ مختلفة معه تماماً، كان 'أبي' صـديقي، ومُعلمي، وقائدي، وحبيبي، وبطلي، وأنا كنتُ بالنسـبةِ له ملكتهُ الصـغيرة، وجُنديتهُ المُطيعة، وصـندوقاً لأسراره، وقفصـاً ذهبياً لقلبه، فهو يُحبني كثيراً، وأنا أحبه حُباً مذاقهُ لن تستشعرهُ البشرية.

أتذكرَ وأنا في الثالثة من عمري، كان أبي يعمل في محافظة مُجاورة، وفي أوقاتِ الإجازة يعود إلى مدينةِ 'عدن'، حيثُ كان اسـتقرارنا فيها، وذات يومٍ انقضـت إجازة 'أبي' الأسـبوعية، تجهز للسـفر مبكراً، وبينما هو يودع عائلتي، تفقد جيبه ليخرج مفتاح السـيارة فلم يجده، فرك 'أبي' ذقنه مفكراً كيف أضـاع المفتاح، صرخ على إخوتي سيتأخر عن سفره بسببِ إهمالهم، ثم رمقني بعينيه وأنا نائمة، اقترب مني بهدوء ووضع يده على كتفي بحنان:

ـ صغيرتي 'منى' هل رأيتِ مفتاح السيارة؟

دعكتُ عيني وبنعسٍ أشرتُ إلى الدرج، فتح 'أبي' الدرج ليجد المفتاح ثم ضـحك، وعاد إلي مسـتفهاً لماذا خبأته؟، فأخبرته حتى لا يتركنا وأكملتُ نومي، ليختم ذهابه بقبلة على جبيني الصغير.

عندما تمتلك أباً صالحاً، فأنت نلت خيري الدنيا والآخرة، كنتُ محظوظة أنّي ابنةُ 'أبي ناصر'، أتذكرُ في المرحلة الابتدائية، كان يأخذني إلى المدرسة بسيارته، وكان يردد أذكار الصـــباح كاملة، وأنا أكررها من بعده، فأتقنتُ حينها قراءة 'حصن المسلم' منذُ صغري.

"تجاعيد القلب أشد خطورة من تجاعيد الوجه"

أتذكر هذه المقولة الرائعة من 'أبي'، ما أسهل قولها وما أصعب تطبيقها، كنتُ حينها يائسـة من المشـاركة 'بقصـة' في إحدى المسـابقات الأدبية، كنتُ في همٍّ بليغ، والوقت يمضي كالبرق السريع، وأنا في ظلمةِ نفسي أبحث عن مخرج لقلمي، توقفت مُخيلتي، وأجهضـــت أفكاري، فلاحظني 'أبي' متوترة وقلقة، لم أحرِز أي تقدم، فقال لي:

"إنّ هموم الوجه نُبرر لها بتجارب الواقع، أمّا هموم القلب هو انطفاء نور البصيرة".

في عام ٢٠٠٩م حاز 'أبي' على شهادة 'الدكتوراه' من الأكاديمية العسكرية العليا _كلية الدفاع الوطني بوزارة الدفاع اليمنية_صـــنعاء، بتقديرٍ ممتاز مع مرتبةِ الشرـــف، كانت سُـــقيا فرح أكرمنا الله بها، ونحنُ نترقب لحظة إعلان النتائج، فقررتُ مع أشـــقائي أن نقيم احتفالاً كبيراً نُفاجئ بهِ 'أبي'، فتســـابقت ســـواعدنا لإظهار مراســـم البهجة، وتزينت جدران المنزل بالشرـــائط الملونة، وتراقصـــت البالونات بأشـــكالها المختلفة، وتباهت الطاولة بالأطعمة اللذيذة، يتوســـطها قالب 'الجاتوه' بأطباقهِ المتعددة، ورائحة العود يفوح عبيره في الارجاء. دخل 'أبي' فضـــجّ المكان بالتصـــفيق، والزغاريد، والأناشـــيد تعلو عبر

مكبرات الصـــوت، ظهرَ 'أبي' أنيقاً جداً بقميصـــهِ الســـماوي بأكمامه الطويلة، والمِعْوَز الكحلي يلف خاصرته، والعمامة على رأســهِ زادته فخامه، وخاصــة أنّها على الطريقة اليمنية، ذات الطابع العربي الأصـيل، أتذكر كيف أنّ ابتسـامة 'أبي' اخترقتنا جميعا، وبعد أن باركنا له، ألقى علينا كلمة صـــبغتنا بالأمل، والفخر، وروح الأسرة المتماســكة، وبعد أن فرغ من ذلك تقدمنا شــقيقي الأكبر، ومنحه بإســـمنا هدية رمزية، كانت عبارة عن 'درع' قاعدته بنية وواجهته ذهبية، نُحتت فيه حروف التهنئة بلوني الأســـود والأحمر، وأما جوانبه كانت منحوته بنقوشِ خضراء بديعة،

فقرأ 'أبي' بصوتهِ الجهوري مقدمة 'الدرع' وهو؛

هذا غِراسُ الجهد أثمرَ طلْعهُ

فخُذْ وهذا ورد مائك فانهل

قلوبنا توحدت في تهنيئةِ

للوالدِ الغالي بيومِ نجاحهِ

فتوسّمَ وجه 'أبي' مسروراً، وقال بدهشةِ:

_من كتبَ هذهِ العِبَارَة؟!

أشارت بوصلة عيونهم ناحيتي، فقلتُ بدلالِ:

_هل أعجبك 'بابا'؟!

أومأ برأسهِ في صمتٍ ركيز، وعينيه تشعُ مَلاحَة وأتمّ قائلاً:

_ابنةٌ أبيكِ فلا عجب.

كانَ 'أبي' رزقاً يغبطني عليه كل من عرفني، يفهمني وأفهمه، لغتهُ معي لا تشبه لغة الآباء مع أبنائهم، أسلوبه فريد وكأنّهُ ماركة عالمية مُسجلة، لذلك خلق فيني شخصية مُستقلة، زرعني بحيث أكون شريكة في الحياة لا تابعة لأحد، ودائماً يُكرر في مسمعي أنتِ 'ابنةٌ ناصر'، كل الخيارات لكِ مُتاحة. استكملنا ما تبقى من الحفلة، فلم تخلو من المسابقاتِ، واللعب، والمرح.

كانت لدي مع 'أبي' عادات وفيرة، منها أنّهُ قبل ذهابهِ إلى عمله، أكتب داخل قصاصة ورقية 'دُعاءً' لا يتجاوز السطر، وأضعها في جيبهِ خلسة، وفي خضم العمل ومعوقاته، يتذكر أن في جيبه قصاصة 'دُعاء' تُريح قلبه، حينها يطلع عليها ليتجدد أمله. ذات مرة أخبرني وهو متجهاً إلى فراشهِ للنوم، أنّ لديه مخزوناً من الأدعية التي يحفظها، فشكرني وغنمتُ دُعاءه لي.

غالباً ما نسمع عن لغةِ الجسد، وهذهِ اللغة تُعطيك انطباعاً عن شخصيةِ صاحبها من خلال وقفته، ومشيته، وتصرفاته والعديد من ذلك، فسألتُ 'أبي' متى يحمل المسدس 'الفرد'؟ ومتى يحمل السلاح 'الآلي'؟

فأجابني أن الجندي هو من يتوشح بالسلاح 'الآلي'، أمّا القائد فلا يحمل سوى المسدس 'الفرد'، لأن هذا نوع من استعراض القوة، ورسالة لجُندِه أنّ

قائدهم قوة لا يُســـتهان بها، وهناك حالة وحيدة يحمل القائد الســـلاح 'الآلي' عندما يخوض معركة يُقاتل فيها.

الصـباحات والمسـاءات التي جمعتني 'بأبي' لا يمكن إحصـاؤها، والدروس والعبر التي غَرفتها من حياته مُلهمة لي، قبل أن يسـافر 'أبي' إلى مصر- للعلاج في منتصـــف عام ٢٠١٩م، أبلغني بأنّه بعث لي كتاباً عبر الواتس آب 'pdf' وينتظر رأيي في ذلك، ونحن مُنهمِكون بوداعه لم استوعب اسـم الكتاب، ونسـيتُ الأمر كُلياً.

الجزء الخامس

.أول خطوة للنجاح في الحياة، هي أن تخرج كلام الناس من رأسك،

حتى تتفرغ للقمّة. يقول لس براون:

(ما حققته الآن اســتطيع تحقيقهُ منذ زمن، لكن الخوف من الفشــل، ورأي أشخاص بي، هو ما جعلني أوقف العمل على تحقيق أحلامي).

لم يكن ذلك الحوار في لقاء تلفزيوني، ولم يكن تدريباً لمشهدٍ درامي

حتى !، حتى أنّهُ لم يكن بيني وبينَ 'أبي'، كنتُ هذه المرة أنا، تلكَ الخُلاصة اسـتنتجتها من كتابِ مُلهمون، ذلك الكتاب الذي عثرتُ عليه متأخراً في محادثةِ 'أبي' عبر تطبيق الواتس آب.

بِتُ أبحث عن أي شيءٍ يتعلق بالرَّقمِ ثلاثة وعشرــون، ما هي الأحداث البارزة التي حدثت فيه؟، لكن ليس أي ثلاثة وعشرــين تســتحق أخذ نجمة السـماء، فالذي زاد هذا الرقم تميزا بين أشـباهه، هو تواجده في "شـهر رمضـان، الذي أُنزل فيه القرآن، وارتفعت راية الإسلام".

في ظهيرةِ يومِ الثلاثاء، في المقعد ثلاثة وعشرـين من رمضـان، يصـل ذلك الاتصـــال الـ فاصـــل، كانت دقائق التنفس في تذبذبٍ بين الحياة والموت، كانت بوصلة الأمل بالنسبةِ لي تلك القشة التي يتمسك بها الغريق، ولكن القدر حين يتلقى أمرهُ بأن يقع، فإنه سيقع؛ فملك الملوك أمرهُ بين (كُن، فيكون).

وصــل ذلك الاتصــالُ حاملاً معهُ الفقد، فحتى الفقد في الحياة درجات، فهناك من تفقده رغم قربه، وهناك من تفقده المســافات الطويلة، وهناك من

تفقده للأبد، أعادني صراخ عائلتي إلى أرضـــيةِ الواقع، لم أعِ نوع الخبر جيداً!، ولكنّي شاهدتُ سقوط شقيقي على الأرض، كسقوطِ الجبالِ يوم الفزع، وأمي بالمُقابل كانت تُلملمه، جثوتُ على ركبتي أمام أخي، أمسكتُ بكفيه الخشنة، والدموع قد حفرت واديانِ على خده، فسألتهُ والإجابة قد حسمها القدر:

_ما الذي أصاب أبي؟!

فضـمّني ضـمّة، كانت مختلفة عن كُلِّ ضـمة، ضـمة بنكهةِ الأبوة، وشهقات أنفاسي تضرب في داخلي، فنطق بما حدثتني نفسي:

_'أبي مات يا مُنى'.

لم أبكي، لم أصرخ، حتى لساني لم تُنبت حروفها، كل ما أتذكره أنها دمعة صغيرة نزلت، ثم جفّت، ثم قحط.

"فكما أنَّ ليوم القيامةِ أهوال، فالموتُ كذلك، وإنّما الثبات يأتي من بذرة الإيمان، عندما نسقيها في السراء قبل الضراء".

كلُّ شيءٍ قد يتوقعه ابنُ آدم، إلّا تلك الأقدار حين تقع دون أي مقدمات، تطرق بابك فجأة، وأنت نائم في سباتٍ عميق، أو تضحك لأنك مطمئن، أنّ ما حولك بخيرٍ كما تُريد، لا أستطيع وصف الساعة الأولى بدقة، الشيء الوحيد الذي أفلحت في قوله لنفسي:

'رُبما أخطأوا، رُبما تشابهت عليهمُ الأقدار'.

تركتُ واقعي بصحبة عائلتي، أخذتُ هاتفي النّقال، تفقدتُ الرصيد، واتجهتُ صوب غرفتي، كنتُ خائفة من التوقيع المؤكد، وضعتُ الحرف الأول

من اســم أخي المُقيم في المملكة، فأبي أســاســاً هُوَ عنده، وحينها لحظة اليقين ستكون الحق، تشابكت الخطوط، ليأتيني صوته:

_السلام عليكم.

غُصْــتُ في نبرةِ صــوته، لم تكن حماســية، كان يغلفها الحُزن، ابتلعتُ جفاف حلقي مع الصيام، وقلت:

_وعليكم السلام أخي، أين أبي؟!

فدخل دخولاً مباشراً، ليحتد صوته الجهوري، وأردف قائلاً:

_مُنى؛ قولي 'لا إله إلا الله'، هذا قدر الله، أبونا 'مات' وهو بلباس الإحرام..

قاطعته بسرعة:

_"الحمدلله، اللهم أأجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منها".

ثم بدون إدراكِ قُلت:

_لماذا مات؟! سافر من عندنا لا يشكو شيئاً، ربما الطبيب لم يكن مُتقناً في فحصه، هو ما زال حياً، تأكدوا منه..

وإذ يقولها بحزم، مع تعنيف لما صدر مِنّي:

_مُنى! أبي كان متجهاً لأداء مناســك العمرة، كان في قوتهِ وصــحته، كل مافي الأمر أنّه لم يقدر على التنفس، وصاغ عدة تنهيدات بسيطةَ، ثُمّ رحل وهو

على فراشــه في كاملِ طهارته، وفي حالةِ عبادة، وعلاوة على ذلك ســيُبعث ملبياً، مُحرما بإذن الله.

ثُمّ تقولين لماذا مات؟ ألســـنا كلنا راحلون؟ أليســـت العبرة هو الظفر بحسن الخاتمة، أين إيمانك بالله؟ استهدي بالله.

انتفضتُ من مكاني، واستعذتُ بالله في سريرتي، فأشرتُ بقولي:

_أخي ســيكون دفنه عندنا، وليس عندك، أليس كذلك؟ نحن لم نره منذُ شهر.

_وأنا لم أره منذ سنتين، غالبا سيدفن عندي 'فإكرام الميت دفنه'.

_ولكنك حظيت برؤيته في آخر ساعة من حياته.

_سأنهي المكالمة..

_لحظة..

_خيرا، قلتِ بما فيه الكفاية وزيادة..

_إِنْ حُرِمت قربه هذه اللحظات، فلا تحرمني من صور 'أبي' الأخيرة، ابعث صور الجنازة.. رجاءَ.

_خيراً إن شاءالله، في آمان الله.

حضرتُ الكثير من بيوتِ العزاء، واستشعر ألم أهل الفقيد، وفور عودتي للمنزل، كل شيءٍ يتبدد، فأعود للحياة من جديد، أمازح 'أبي'، وأهمسُ 'لأمي'،

وأناقش 'إخوتي'، وأنسج الحكايا لصغارِ 'عائلتي'، وحين أصابني المصاب ذاته، آمنتُ بأنّ قلبي كان مُضيئاً كالقمر، ومُشرقاً كالشمس، وبعد 'وفاتِ أبي'، حلّ الخسوف والكسوف معاً.

انقضى نهار الثالث والعشرين من رمضان، وجاءت ساعة الإفطار، كان المنزل مُكتظاً بالمعزين، أذن المؤذن ولهجت ألسنة الصائمين بالدعاء:

"ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله"

تناولتُ تمرةً وحيدة، حتى أنّ حُلُوها أصبحَ مُراً، حاولت أن تكون ثلاثاً، لكنّ ريحاً حارة كوتني لتعيدني إلى أجواء العزاء، قمتُ لأصلي المغرب في غرفتي، وبعدها وضعت رأسي على الوسادة، أقلب عيناي عَلّهما يخضعانِ للنوم، لم أتمّكن فاللهيب في اشتعالِ رهيب، بعدها تذكرت أنه يجب عليّ الظهور أمام المعزين، فأنا ابنةُ المتوفى، ولابُد أنهم يسألون عنّي.

عبرت ساعات المساء طويلة وكئيبة، وفوج المعزين بين ذهابٍ وإياب، كانت حالة الصدمة بادية عليهم من خلال طرح التساؤلات، وأن ماذا عن تلك 'الخاتمة الحسنة'، وكان السؤال المشترك بينهم؛

"ما نوع الخبيئة التي كانت بين أبي-رحمه الله- وبين ربه؟!"

كان إحساسي مُختلطاً، كنتُ فخورة لأني ابنةُ رجلِ مميز في حياته، وسعيدة لأن الله -عز وجل- اصطفاه، فحباه بخاتمة حسنة شملت عدة فضائل، وحزينة لأنّ شمسي ستشرق لأول مرة وأنا بلا أب.

بزغ فجر اليوم الثاني، لكن الشـــمس لم يكتمل إشراقها تماماً، كان قلبي مقبوضـــاً جداً، ليتني أبكي قليلاً لعلي أرتاح، فجأة رأيتُ وميض هاتفي النقال، فتحت تطبيق الواتس آب، كان في استقبالي خمسة عشر صورة، ضاقت روحي بشـــدة وأنا أشـــاهد الصـــور، كانت 'لأبي'! ، يا الله! هذا يعني أنه مات حقاً، تلاحقت الصـــور واحدة تلو الأخرى، كانَ وجهه مكشـــوفاً، والنور بادٍ على تفاصيله، وابتسامة أفقية تزين مُحياه، حتى قدماه مكشوفتان، والكفن عبارة عن لباس الإحرام فقط، شعرتُ بسعادة لأنّ 'أبي' في هيئةِ عبادة، أحســـستُ الرضى يتكلم بالنيابةِ عنه، الحمدلله يا رب على هذهِ البشرـــى، بعدها لفت انتباهي سطرا:

" تم الدفن في الساعة العاشرة مساءَ".

تحركت جيوشاً في داخلي، كيف استطعتم وضع التراب على وجه 'أبي'، كيف تاقت أنفسكم أن تضعوه في تلك الحُفرة، هناك صقيع الشتاء، وأوار الصيف، هل أمسيت وحيداً يا 'أبي' دون أن أعلم، دون أن أقبّل جبينك وأودعك، لمن سأقرأ حروفي بعد رحيلك، لمن سأكتب بشغف، لمن سأقص طموحاتي، هل سأفتتح يومي على كرسيك شاغراً من الغد؟!

يا الله ما أشـدّهُ من ابتلاء، بالأمسِ كان 'أبي' بيننا وصوته يُحيي المكان، واليوم استوحشت كل الديار، كيف لي أن أقلب الأيام، والشهور، والسنوات، وقُرة العين لم يعد أنســـهُ في الحياة، يا فصـــول العام توقفي عند الخريف، وتســـاقطي يا أوراق الأشـــجار، يا شـــلالات الأرض تجمّعي مع الأمطار، فعيني أصـــابها الجفاف، أين البحار بعمقها، والجبال بثباتها، والعاديات بسرـــعتها،

تقاسـموا حُزني وخذوهُ عنّي، لعل الثلوج تسـكن قلبي، وتنطفئ نار الاشـتياق، هيهات هيهات لن تشعروا بمصابي؛ فجبر القلوبِ هديةٌ من الرحمن.

رحل جسـدك عنا يا 'أبي'، وبقيت روحك تحيطُ بنا كسـورٍ يحمينا من العداء، وأخلاقك عطرٌ نسـتنشـقُه في ثناءِ النّاس عليك، وكرمك جسرـ عبورٍ نحو المحبة والترابط، والإخاء، وإنجازاتك العظيمة قُدوة تبعث فينا التقدم والبناء.

رحم الله 'أبي' رحمةً واسـعة تُغنيه عمّن سـواه، وغفر له ماكان في الأزمـان، وجعـل مثواه الفردوس الأعلى من الجنـة مع النبيين، والصـديقين، والشهداء، وحُسن أولئك رفيقا.

نعم .. قبل عامٍ من الآن، طُلِبَ مِنّا كتابة قصة، لتكون بمثابة قصة 'تخرج' من الأكاديمية التي كنا نتعلم فيها احتراف الكتابة الأدبية، ولتكون قصتي ضمن أول كتاب يصدر عن فريقنا..

لم يكن لدي وقتها أي فكرة عما سـأكتبه، فاسـتشرـت أسـتاذي المشرـف، فقال لي؛

لم لا تكتبين سيرة أبيك، فأمثاله من المتفانين والمخلصين لدينهم وأوطانهم بصـدق، يجب تسـليط الضـوء عليهم ليعرفوا، ويكونوا نبراسـا وقدوة لشـبابنا الذين تثبطت اليوم هممهم، لكثرة ماأوهنوا من قبل الإعلام المغرض.

طرت فرحا، وراقتني الفكرة وأحببتها جدا، فاجتمع لدي ما أحب لأكتب عمّن أحب..

قضيتُ شهراً كاملاً بصحبتهِ، كان يقص عَلَيّ أيامه ومغامراته التي مر بها بكلِّ أحقابها، فحكى لي ماكان في عهدِ أجداده، ثمّ في عهدِ أبيه، حتى وصلنا إلى عهدهِ، فسلطنا الضوء على التاريخ، والحاضر، واستشرافهِ للمستقبل.

كُنتُ حينها أوثّق كل شيء بقلمي، وكانَ هو المصدر الذي شَهِدَ جميع الأحداث، سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً وعسكريا..

فكانت لي معه قِصة اسمها؛

(سُلطان حِميَر)

كانَ 'أبي' هو بطلها.

كبرتُ معه عقلياً وفكرياً، حتى وكأن شخصيتي امتزجت بشخصيته؛ كنا نجلس قبالة بعض، نخوض في الأحداث الجارية، تارة نأسى، وأخرى نستأمل ونستبشر، ثم نظر إلي وقال:

"سيأتيك يوم تدونين فيه هذه القصة مع أستاذك إلى رواية، لتصبح كتاباً يقرأهُ العالمين، فاحفظي عني، واتركي كل ما يكون في ذكره شقا للصف".

لم أكن أدرك أنّ الأقدار كانت ترسمني في هذا المنحى، وأن نظرته التكهنية كانت قريبة أكثر مما أتصور.

هاهي قصـــتي اليوم أصـــبحت رواية بين دفَّتِي كِتاب، وهاهم مُحبي قلمي ينتظروني بشــغف، وها أنا بتوفيقٍ من الله يكون البَث الأول لقلمي، هو أن أُخَلِّد سيرة حياة 'أبي' بعدَ موتهِ بأشهرٍ قليلة في كتاب.

لم أكتبها لِشُـــهْرة، وإنّما أردتُ تخليد قُدوة شــأنها رِفعة للأوطان، وعَلَماً للقائدِ المُســـلم المُتَزِن، وبذلك يكونُ أبي رحمه الله قد اطّلع على حكايته قبلَ موته، فالحمد الله الذي جعل ذلك من إحدى عزائي به.

..تمت..

علمني أبي

ابتسمي حتى ولو كانَ في جوفك

نارٌ مُشتعلة

اصمتي كالعظماء واسمعي كالفقهاء

وارسمي قاعدة الحياة كالكُتّاب

تعلّمي حتى لا تتألمي

ثم ..... ماذا؟!

صغيرتي

الحياة مسرح كبير ليست ملكاً لأحد

تتعدد الأدوار، والسببُ واحد

الجميع يشقَّ طريقه بطريقته

... لكن

ليكن طريقك واضح المعالم

شديد المكاسب, راقي الملامح, جميل الحضور

تعلّمي .....

انشري الود والورد

عطري الحياة بالأخلاق

ارفعي من يرشدك ويشدّكِ للأمام

تغافلي عمّن يردد أنتِ ..... لا شيء

.... الحكاية

هي أن البناء أصعب من الهدم, والبقاء لأصحاب النقاء

والقلب ينبض للخير

لا يحرفه سوى نفسٌ أمّارة, أو صديق سوء

الصحراء قاحلة

لذلك،،

كوني مطراً حتى يُزهر الجميع

✍ / مُنَى

عائلتي تبوح

.ناصر شريك الحياة، منارة في الحق، ورسالة في الإنسانية،

كانت تغلب عليه الكياسة في تصرفاته ، فعتلى منابر القيادة.

زوجتك: أم عصام بارويس

.....

أبي وطنٌ عاصمتها جمال صفاته، ودِفء مشاعره، فيه أناة القط، ووثبة الأسد، كريم الأخلاق، سيد الشجاعة، فاكهة المجالس، مصباح الحكمة، شجرة في النصيحة، أمان الوطن، ومزرعة تبث الاطمئنان..

ابنك: عصام ناصر بارويس

.....

أبي أسطورة في القدوة، تخلى عن إعلامِ الدنيا، فرفعهُ الإعلام الرباني.

ابنك: هشام ناصر بارويس

.....

أبي عُنواناً في صناعة الرجال في ميادين الشرف والرجولة.

رحم الله روحا كانت رمزا للتضحية والفداء ,

والقيادة الممتزجة بروح الأبوة.

ابنك: أحمد ناصر بارويس

.....

سيدي، قائدي، وبطلي،

هو استقامة ظهري،

وعيني الثالثة، هو الروح التي لا زال عبقُها يحوم حول أفكاري،

أبي أنت الجمال.... وأنا بقاياك،

وأنا على العهد حتى ألقاك.

ابنتك: ميمونة ناصر بارويس

.....

أخي ناصر هو عائلتي كلها ,

ما اتكأت عليه يوما إلا وكان الفلاح من نصيبي

هو العمود الفقري لهذا الوطن .

أخوك: عبد العزيز عبد الله بارويس

قالوا فيه

.اللواء الركن/ ناصر عبد الله بارويس

جَسّـــدَ مناقبه الوطنية، والنضـــالية، من خلال مشـــوار حياته، ودوره القيادي في مختلف المواقع العسكرية التي شغلها.

عبد ربه منصور هادي_ رئيس الجمهورية اليمنية

....

اللواء الركن/ ناصر عبد الله بارويس

كان نبراسـاً في مناقبهِ، وأدوارهِ الوطنية والنضـالية، ومُخلصـاً، ومتفانٍ في مختلف المناصب العسكرية التي تقلدها.

علي صالح الأحمر_ نائب رئيس الجمهورية

لم أعرف بارويس إلا قائداً، مُخلصاً، مُناضلاً، شجاعاً، شارك مع قيادة الجيش الوطني في بناء مؤسسات الدولة العسكرية، والأمنية، بعد أن دمرتها المليشيات الحوثية، وتم إعادة بنائها من الصفر، وشارك مع رفقاء السلاح في إعادة معسكرات الجيش الوطني، وفي افتتاح الكلية العسكرية في عدن، ومستشفى باصهيب، وعدد من المشاريع الأخرى التي أعادت الاعتبار للجيش الوطني، وساهمت في تعزيز قدراته، وجهازيته القتالية.

وفي مرحلة صعبة بعد التحرير وقف الشهيد الفقيد اللواء الركن/ ناصر بارويس كما يقف الأبطال إلى جانب الشعب والوطن، مُدافعاً عن الشرعية وعن م شروعها الحضاري، في بناء دولة اتحادية جديدة من ستة أقاليم، مُدركاً أهمية وصوابية المشروع الوطني الجامع للقوى الحية في المجتمع، رافضاً العبودية في شكلها الإمامي الجديد، مُنافحاً عن الحرية، والحق، والعدالة.

د. أحمد عُبيد بن دغر_ رئيس مجلس الوزراء السابق

(بارويس قلعة الصمود والتضحية)

...

وأنا أودعه في هذه اللحظات في مقبرة بريمان في 'جدة'، تذكرت كل مناقب اللواء وسيرته البطولية العطره، عندما أجتاحت المليشيا الحوثية الانقلابية عاصمتنا الحبيبة 'عدن'، وعبثت بأمنها واستقرارها، وكان لابد من التضحية لتحريرها، من قِبَلِ أبنائها. وقتها أنشأت غرفة عمليات واحدة للتخطيط لتحرير 'عدن'.

شارك فيها عدد من أبطال 'عدن'، منهم من قضة نحبه، ومن من ينتظر، كان الفقيد الفارس اللواء/ ناصر بارويس أحد القادة الميامين، والذي عرفته قائداً شجاعاً، وهُمام وطني غيور على أرضهِ ودينه، شارك معنا التحرير لحظة بلحظة، ولم يتردد يوماً في الدفاع عن حريةِ الإنسان وكرامته.

لم يفارقني لحظة واحدة في الحرب، لقد شعرت اليوم بحزنٍ عميق، وألمٍ شديد وأنا أفارق رفيق دربي في النضال، والتضحية؛

بارويس أول من نظَّم، وأسس للجيش الوطني اليمني.

أ. نايف البكري_ وزير الشباب والرياض

العميق بفقدان اللواء/ ناصر بارويس، أحد أبرز القادة العسكريين الجنوبيين، ومن أبطال تحرير العاصمة عدن، التي نحتفل بعد أيام قليلة بذكراها الخامسة.

أشيد بمناقبِ الفقيد وصفاته، مؤكداً أن رحيله مثّل خسارة كبيرة على وطنه، ومؤسسته العسكرية التي هي اليوم بأمس الحاجة لخبرته وكفاءته، ومزاياه القيادية.

عيدروس الزُبيدي_ رئيس المجلس الانتقالي الجنوبي